العدد 525 – الأحد 13 آذار/ مارس 2022 – السنة العاشرة
www.enabbaladi.net

عنب بلدي
enab baladi
من كرْم الثورة
جريدة أسبوعية
تأسست في داريا

سوريون مغتربون يشترون عقارات في الوطن

13

"دويلتان" في الشمال ترسمهما "مصالح ضيقة"

عناصر في "الجيش الوطني" على حاجز بمدخل مدينة عفرين في ريف حلب الشمالي _ 28 تشرين الأول 2021 (غرفة القيادة الموحدة "عزم" / تلجرام)

ملف العدد

أخبار سوريا 02

واشنطن تنقل المواجهة مع موسكو إلى سوريا

أخبار سوريا 04

"داعشي".. وصمة تلاحق أبناء مقاتلي التنظيم في الرقة

تقارير مراسلين 04

احتطاب ممنهج لأشجار محمية "جباتا" بالقنيطرة

تقارير مراسلين 05

حلب.. "قسد" تواصل خطف الأطفال وتجنيدهم في ميليشيا "الشبيبة"

فعاليات ومبادرات 06

أمراض "المقالع الحجرية".. معاناة أخرى لقاطني مخيمات إدلب

رياضة 19

برادلي باركولا موهبة واعدة في ليون الفرنسي

"الدولة" و"الإدارة" والرجل

نساء الرقة يصارعن أثر السلطات الثلاث

"تعرضنا لظلم كبير خلال السنوات الماضية، وظلّت المرأة في الرقة محكومة بفكر الجهة المسيطرة، وخاضعة لسلطة الرجل وعادات المجتمع"، تصف رغد (30 عامًا) حياة نساء الرقة خلال السنوات الماضية.

بين ماضٍ حكمه تنظيم "الدولة الإسلامية"، وحاضر تتنازع على حكمه محاولة "الإدارة الذاتية" أدلجة المرأة، وقيود الأعراف والتقاليد العشائرية، تكافح نساء في الرقة للحفاظ على كينونتهن، وامتلاك حق اختيار طريقهن، دون أن تسيّرهن القبضة الحاكمة.

وتلعب السلطة الحاكمة دورًا كبيرًا في حماية وتمكين المرأة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، من خلال تشريع القوانين التي تحميها، ومنع التعدي عليها من قبل السلطة والمجتمع بأكمله، وفق ما قالته الباحثة الاجتماعية صبا عبد اللطيف لعنب بلدي.

"الأسود" يحكم المرأة

فرض التنظيم فكره "الأسود" على كل تفاصيل حياة المرأة في الرقة، وعمل على تنميط صورتها,,,

14

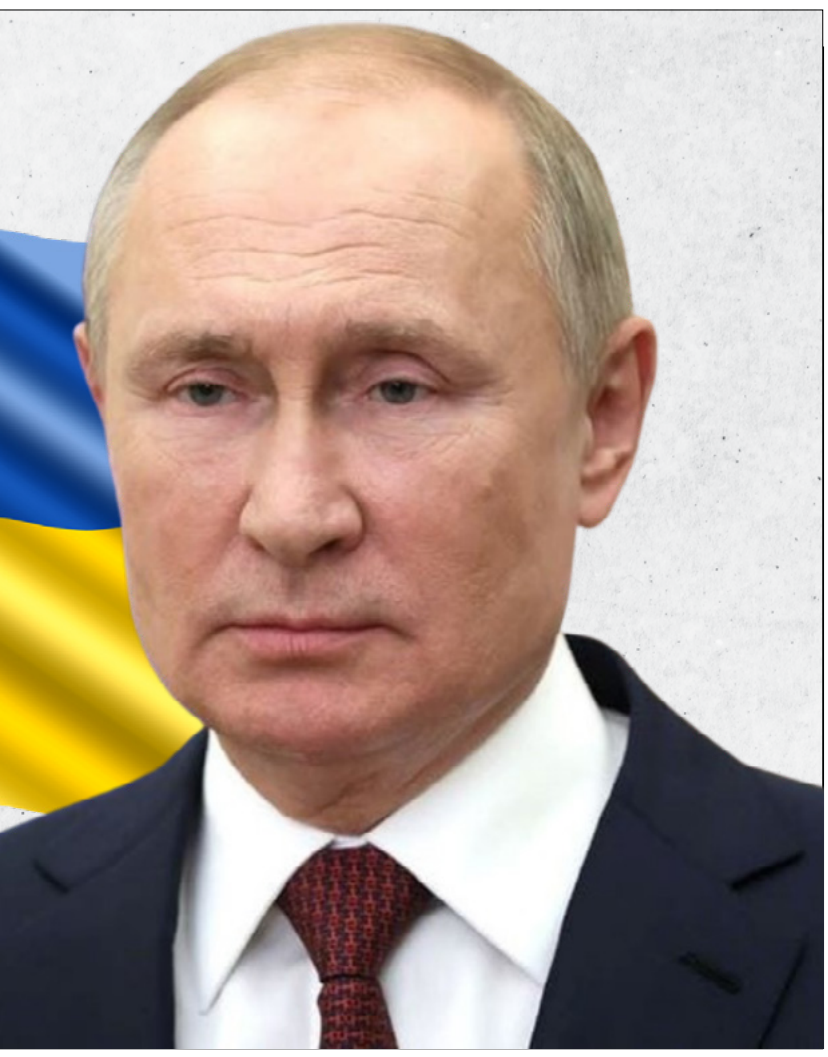

مسؤول الملف السوري في الخارجية الأمريكية لعنب بلدي: العقوبات مقبلة

واشنطن تنقل المواجهة مع موسكو إلى سوريا

عنب بلدي – أمل الرنتيسي

يوافق شهر آذار الحالي الذكرى الـ11 لانطلاق الثورة السورية، وتعتبره واشنطن "شهر المحاسبة وانتهاء الإفلات من العقاب".

وتحلّ الذكرى وسط معطيات دولية تؤثر في الملف السوري، منها "الغزو" الذي شنته روسيا على أوكرانيا، وتأثيره السياسي والاقتصادي على سوريا، إضافة إلى اقتراب الجولة السابعة من اجتماعات اللجنة الدستورية حول سوريا نهاية آذار الحالي، واقتراح المبعوث الأممي إلى سوريا، غير بيدرسون، مقاربة "خطوة بخطوة" التي قوبلت برفض من المعارضة.

ملفات كثيرة تؤثر في سوريا، ناقشتها عنب بلدي خلال مقابلة مع نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى ومسؤول ملف التواصل في سوريا، إيثان غولدريتش، في مقر القنصلية الأمريكية باسطنبول، في 8 من آذار الحالي.

وفي بيان مقتضب ببداية اللقاء مع عنب بلدي، قال غولدريتش، إنه في تركيا لنقاش الأهداف المشتركة بين الولايات المتحدة وتركيا خاصة في مجال المساعدات الإنسانية للشعب السوري، وللتحدث عن الحل السياسي للصراع في سوريا تزامنًا مع الغزو الروسي لأوكرانيا، قائلًا إن "العالم يراقب الصور الرهيبة التي تأتي من أوكرانيا، ويقيّم تأثيرها على القضايا والمواقف الأخرى في العالم وعلى سوريا".

وأضاف، "نحن مستاؤون لرؤية الروس وهم يدمرون البنى التحتية الحيوية في دولة مجاورة لهم، والمعاناة التي يعيشها الأوكرانيون وحرمانهم من الماء والكهرباء إضافة إلى الهجوم على محطات الطاقة النووية".

وشبّه غولدريتش ما تفعله روسيا الآن في أوكرانيا بما فعلته في سوريا، قائلًا "من المهم أن نتذكر أن سوريا أيضًا عانت من السلوك الروسي العدواني، وأن سوريا ستظل أيضًا أولوية للولايات المتحدة، فنحن نعلم أن الروس فعلوا ذلك في سوريا ورأينا تكتيكهم الحربي فيها، لذا فإن بعض الأشياء التي شوهدت في أوكرانيا مألوفة للغاية للأسف".

زيارات من أجل المضي قدمًا في سوريا

تلتزم واشنطن بسياسات أساسية في سوريا، منها الجانب الإنساني والحفاظ على وقف إطلاق النار، ومحاسبة الأشخاص على انتهاكات حقوق الإنسان، لذلك أجرى غولدريتش اجتماعات في واشنطن وجولة في المنطقة العربية.

وقال لعنب بلدي، "كانت الزيارة هنا في تركيا فرصة للتحدث مع الحكومة حول هذه السياسات، وفي الأسبوع الماضي، سنحت لنا الفرصة للتحدث مع مجموعة أكبر من المسؤولين حول المضي قدمًا في سوريا عندما استضفنا اجتماعًا في واشنطن لـ11 دولة عربية وأوروبية، وكان المبعوث الأممي إلى سوريا، غير بيدرسون، حاضرًا أيضًا، وتحدثنا عن المسارات المشتركة للعملية السياسية".

وجاءت هذه الزيارة بعد جولة لغولدريتش في الأردن وقطر والإمارات ومصر والسعودية، خلال شباط الماضي، للتحدث مع الحكومات حول الوضع في سوريا.

ويعتقد المسؤول الأمريكي أن الزيارات الأخيرة والاجتماعات في واشنطن تعطي بعض التنسيق "الجيد للغاية" مع الشركاء الرئيسين لواشنطن.

سوريا وتداعيات "الغزو" الروسي لأوكرانيا

في 23 من شباط الماضي، أعرب بيدرسون عن قلقه من أن يؤثر الصراع الروسي- الأوكراني سلبًا على حل الأزمة السورية.

وقال خلال لقاء مع وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، "بصفتي مبعوثًا خاصًا إلى سوريا، أشعر بالقلق من أن يكون لهذا الصراع حول أوكرانيا تأثير سلبي على حل الصراع السوري، لكنني آمل ألا يحدث هذا".

ووجهت عنب بلدي إلى غولدريتش سؤالًا بشأن تداعيات "التأثير السلبي" للحرب على سوريا.

وأجاب أن "الغزو خلق أزمة جديدة في العالم، إلا أن الأزمة الموجودة في سوريا لم تنتهِ بعد، لذلك يتعيّن علينا الحفاظ على التركيز على سوريا"، حسب قوله.

ونوّه إلى أن ما يحصل في أوكرانيا هو "انتهاك للقانون الدولي"، قائلًا إنه "أمر مروع أن عضوًا دائمًا في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بدأ عملًا عدوانيًا بهذا الشكل، وأعتقد أنه يذكّر الجميع بأشياء حدثت بالفعل في سوريا، كانت روسيا مسؤولة عنها. المجتمع الدولي بحاجة إلى التركيز على عواقب الأشياء التي فعلتها روسيا في كلا المكانين ومحاسبتها".

ورغم أن مسؤولية الحرب في سوريا تقع بالمقام الأول على عاتق النظام السوري، كانت روسيا أحد عوامل التمكين القوية له لفترة طويلة، وفق غولدريتش.

أزمة غذاء عالمية بسبب الحرب.. هل يمكن تقليص الأثر في سوريا؟

حذّر برنامج الأغذية العالمي، في 4 من آذار الحالي، من أزمة غذائية تلوح في الأفق في المناطق المتضررة من الحرب في أوكرانيا، ومن أخطار تفاقم المجاعة في جميع أنحاء العالم بسبب توقف إنتاج وتصدير منتجات مثل الحبوب.

كما أشار التقرير إلى أن 50% من القمح الذي يشتريه برنامج الأغذية العالمي مصدره أوكرانيا لإطعام الجياع في بلدان مثل سوريا واليمن وإثيوبيا.

ويأتي هذا التقرير الأممي في ظل ارتفاع عدد السوريين الذين يحتاجون إلى مساعدة إنسانية خلال العالم الحالي بنسبة 9% مقارنة بعام 2021، إذ بلغ عددهم نحو 14 مليونًا و600 شخص، وفق تقرير للأمم المتحدة في 23 من شباط الماضي.

بدوره، أكد غولدريتش لعنب بلدي أن الولايات المتحدة تركّز على الوضع الإنساني في سوريا بشكل مستمر، إذ أسهمت بشكل مكثف في إيصال المساعدات الإنسانية إلى سوريا طوال الفترة الماضية، وستواصل القيام بذلك رغم ما تشهده أوكرانيا من حرب.

وفي ضوء الأزمة التي بدأتها روسيا والتي تتسبّب الآن في مشكلة التوزيع الدولي للقمح والمنتجات والأشياء الزراعية الأخرى التي كانت تأتي من تلك المناطق، ستبحث الولايات المتحدة عن طرق للتأكد من أن الأشخاص الذين كانوا يعتمدون على المنتجات الزراعية القادمة من تلك المنطقة سيظل بإمكانهم الحصول على المساعدات الغذائية، وفق غولدريتش.

وتسعى الولايات المتحدة لاستمرار عمل الآليات الدولية لإيصال أي نوع من المساعدات الإنسانية إلى سوريا، بحسب ما قاله غولدريتش في مقابلته مع عنب بلدي.

ومن ضمن هذه الآليات، قرار مجلس الأمن الدولي رقم "2585" لعام 2021 الذي يقضي بتمديد التفويض الممنوح لآلية المساعدات الإنسانية "عبر الحدود" مدة 12 شهرًا، بشرط أن يقدم الأمين العام للأمم المتحدة بعد مرور ستة أشهر تقريرًا يتضمّن إحراز تقدم في وصول المساعدات "عبر الخطوط" لتلبية الاحتياجات.

وفي 10 من كانون الثاني الماضي، مدّد مجلس الأمن الدولي التفويض الخاص بإيصال المساعدات "عبر الحدود" إلى سوريا لمدة ستة أشهر أخرى، وذلك دون تصويت جديد في المجلس.

وأعرب غولدريتش عن قلقه من اقتراب موعد تجديد القرار "2585" الذي يراه يوفر الإمدادات الحيوية للسوريين.

وحول هذه القضية قال، "نحن نتوقع تجديد القرار مرة أخرى، لقد درسنا على مدار الأشهر الماضية ما يمكننا القيام به لتحسين تدفق المساعدات الإنسانية إلى سوريا من جانبنا، لذلك نظرنا إلى عقوباتنا للتأكد من أن المنظمات الخيرية والإنسانية تفهم ما تحظره العقوبات وما هو مسموح به بموجبها لتسهيل الأعمال الخيرية والإنسانية".

وسألت عنب بلدي إن تم الاتفاق مع الجانب الروسي على هذه الاستثناء.

وأجاب غولدريتش، "نعم، كان ذلك في أعقاب القرار (2585)، فقد اتبعنا حسن نيتنا لإيصال المساعدات ومتطلبات القرار لمعرفة ما يمكن فعله للتعافي المبكر ولتدفق المساعدة الإنسانية بشكل أفضل، وعملنا على تفسيرنا للعقوبات حتى يفهم الناس كيفية عملها بشكل أفضل، كما جعلنا الأمور أسهل للمنظمات الخيرية والإنسانية".

وتابع، "ما أقصده هو أننا نبذل قصارى جهدنا للحصول على الطعام والمتطلبات اللازمة لحالات الطوارئ للشعب السوري، ونتوقع أن تفعل روسيا الشيء نفسه، إلا أنه بدلًا من ذلك بدأت حربًا تجعل من الصعب الحصول على الطعام للأماكن المُحتاجة".

وسبق أن حاولت روسيا إفشال قرار التمديد الأخير، في 10 من كانون الثاني الماضي ، إلا أن إدارة الرئيس

الرئيس الأمريكي جو بايدن يتحدث في البيت الأبيض بواشنطن العاصمة، 24 شباط 2022 (تعديل عنب بلدي)

الأمريكي، جو بايدن، أعطت تسهيلات للمنظمات غير الحكومية الدولية للعمل مع النظام السوري، وفق الباحث في معهد "الشرق الأوسط" تشارلز ليستر، الذي قال حينها إن المقايضة بين الولايات المتحدة وروسيا هي منح المنظمات الدولية غير الحكومية صلاحيات للعمل مع النظام.

وجاء في بيان صادر عن وزارة الخزانة الأمريكية، في 24 من تشرين الثاني 2021، أن تعديل العقوبات المفروضة على النظام سيكون لتوسيع التفويض الحالي المتعلق بأنشطة معيّنة لمنظمات غير حكومية في سوريا.

وبحسب البيان، سيقوم مكتب مراقبة الأصول الأجنبية، بالتشاور مع وزارة الخارجية الأمريكية، بتعديل لوائح العقوبات للتوسع في الترخيص العام الحالي، بالسماح للمنظمات غير الحكومية بالمشاركة في أنشطة استثمارية معيّنة مرتبطة بالمساعدة لدعم بعض الأنشطة غير الهادفة للربح في سوريا.

إمكانية فتح معبر إضافي

سمح مجلس الأمن لأول مرة بعملية مساعدات "عبر الحدود" إلى سوريا في عام 2014 بأربع نقاط، هي معبر "الرمثا" الحدودي مع الأردن، و"اليعربية" الحدودي مع العراق، و"باب السلامة" و"باب الهوى" مع تركيا.

واستمرت المساعدات عبر النقاط الأربع حتى عام 2020، إذ اقتصرت بعد ذلك المساعدات على معبر "باب الهوى" الحدودي مع تركيا إثر اعتراض روسي- صيني على المساعدات "عبر الحدود".

وطرحت عنب بلدي على غولدريتش تساؤلًا بشأن ما إذا كانت الإدارة الأمريكية ستضغط لفتح معابر أخرى، إضافة إلى "باب الهوى" الحدودي مع تركيا، لكن المسؤول أبدى انزعاجه من الموقف الروسي المُقيّد للمساعدات في مجلس الأمن، معتبرًا أن "السبب الوحيد وراء تقليص المساعدات إلى نقطة عبور حدودية واحدة هو السلوك التقييدي من قبل روسيا في مجلس الأمن"، وفق قوله، مضيفًا أن الولايات المتحدة ستكون سعيدة للغاية برؤية فتح معابر حدودية إضافية، وأنه سيكون من الأسهل إيصال المساعدات الإنسانية إلى سوريا بأكثر من معبر حدودي واحد مثل السابق.

"آذار شهر المحاسبة"

حاولت عنب بلدي الاستفسار من غولدريتش عن مقاصد ونيات إدارة الرئيس الأمريكي، جو بايدن، من التغريدات التي تنشرها السفارة الأمريكية في دمشق منذ مطلع آذار الحالي، والتي تتحدث فيها عن أنه "شهر المحاسبة"، وأن الإفلات من العقاب "سينتهي" في سوريا.

الولايات المتحدة لديها آليات دولية موجودة لمحاسبة النظام السوري، مثل جهود "الآلية الدولية المحايدة والمستقلة" (IIIM) للمساعدة في التحقيق بشأن الأشخاص المسؤولين عن الجرائم، بحسب المسؤول الأمريكي، مضيفًا، "نحن نؤيد هذه الآلية بقوة، كما ندعم الجهود التي تبذلها بعض الدول لملاحقة الأشخاص في المحاكم الدولية، وبالطبع لدينا عقوباتنا التي تستهدف منتهكي حقوق الإنسان وغيرهم من المقربين من النظام لمحاسبتهم على الأشياء التي فعلوها"، وفق قوله.

وردًا على التوقعات بمزيد من العقوبات في سوريا، أكد غولدريتش أن الولايات المتحدة منفتحة على فرض عقوبات إضافية، "نبحث دائمًا عن الأشخاص المتورطين مع النظام السوري الذين يستحقون معاقبتهم، فهذه بالتأكيد طريقة ضمن الطرق المبذولة من المجتمع الدولي، سواء في الأمم المتحدة أو لجنة حقوق الإنسان الدولية، فهذه هي الأماكن التي تُناقش فيها سلوكيات النظام"، وفق تعبيره.

وأكد غولدريتش أن العقوبات ستبقى سارية على النظام حتى يكون هناك طريق لحل سياسي دائم في سوريا، وقال، "عقوباتنا هي أداة مهمة لإجبار النظام على تغيير سلوكه، وهي لا تهدف إلى التدخل في شحنات المساعدات التي لا ينبغي أن تتأثر بسبب العقوبات".

أما فيما يتعلق بالتقارير الأخيرة التي تحدثت عن استثناء المناطق التي لا تخضع لسيطرة النظام السوري مثل شمال شرقي وشمال غربي سوريا، باستثناء مناطق سيطرة "هيئة تحرير الشام" وعفرين، من عقوبات "قيصر"، فلم يؤكد المسؤول الأمريكي أو ينفِ صحة هذه الادعاءات، مكتفيًا بالقولِ إنه "ليس لديه أي شيء للمشاركة في هذا الشأن بالوقت الحالي".

ضمن جهود المحاسبة.. ماذا عن المعتقلين؟

ذكّرت عنب بلدي المسؤول الأمريكي بقضية المعتقلين في سياق المحاسبة، إذ يوجد في سوريا نحو 149 ألفًا و862 شخصًا ما زالوا معتقلين منذ عام 2011، معظمهم على يد النظام السوري، وكثير من أقربائهم يعتبرون أن من المبكر الحديث عن "تغيير الدستور" أو مفاوضات سياسية قبل الإفراج عنهم كونهم القضية الأساسية التي ما زالت تمثل الجرح الأبرز.

وردًا على هذه القضية، قال غولدريتش، إن الإفراج عن المعتقلين والمفقودين هي إحدى النقاط التي حددها مجلس الأمن في القرار "2254" كجزء من الحل في سوريا.

وقال، "نعلم أن هذه القضية هي قضية إنسانية للغاية، إذ فقدت العديد من العائلات أفرادًا، ولن يعيشوا بسلام حتى يعرفوا ما حدث لأقربائهم، ويجب على النظام السوري الإفراج عن المعتقلين، وأن يحدد الظروف التي توفي فيها من كانوا في المعتقلات". "لذلك، بغض النظر عن الطريقة التي نتبعها في وضع حل سياسي للأزمة، يتعيّن علينا معالجة هذه المشكلة، وعلينا أن نفهم أنه لا يمكنك وضع نهاية حقيقية للأزمة إذا كان الناس يشعرون أنه لا توجد عدالة تعوضهم خسارة أحبائهم"، بحسب المسؤول الأمريكي، موضحًا، "لدينا جهود مبعوث الأمم المتحدة الخاص التي تحافظ على تحريك العملية السياسية، وهو لديه أفكار مختلفة حول كيفية القيام بذلك، ولكن المتطلبات والقرار (2254) هي من أساسيات الحل، ومن الواضح أن قضية المفقودين المحتجزين هي إحدى القضايا التي يجب معالجتها من خلال العملية السياسية".

الرؤية الأمريكية للحل السياسي ومقاربة "خطوة بخطوة"

"مقاربة المبعوث الأممي تنهي حق الشعب السوري وتحرف قرار مجلس الأمن الدولي (2254)، ورُفضت شعبيًا ورسميًا"، هذا كان تعليق أعضاء في "هيئة التفاوض السورية" المعارضة على مقاربة المبعوث الأممي، غير بيدرسون، "خطوة بخطوة".

واعتبر غولدريتش أن المعارضة لها صوت مهم في العملية السياسية، "نحن مهتمون بآرائهم، وألتقي معهم باستمرار، وسنواصل اللقاء مع المبعوث الخاص إلى سوريا، غير بيدرسون"، حسب تعبيره.

وحول رؤية الولايات المتحدة لهذه المقاربة قال، "نحن ملتزمون بالقرار الأممي (2254) ونؤيد بقوة بيدرسون، فهو المُكلف من الأمم المتحدة بتنفيذ القرار الأممي حول الحل في سوريا، مقاربة (خطوة بخطوة) هي واحدة من مقترحاته وأفكاره حول كيف يمكنه تحقيق مهمته، ولذلك فإننا ندعمه ونريد أن نسمع ونرى المزيد عن كيفية عمل هذه الفكرة".

من هو إيثان غولدريتش؟ (يصمم كبوكس)

في 20 من أيلول 2021، بدأ إيثان غولدريتش عمله كنائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى، ومسؤول عن التواصل في سوريا، حسب ملفه التعريفي في موقع الخارجية الأمريكية.

شغل غولدريتش منصب مستشار السياسة الخارجية للقائد العام للقيادة العامة للعمليات الخاصة المشتركة من آب 2018 إلى حزيران 2021.

في شباط 2021، كانت لديه رغبة مزدوجة أيضًا في العمل كمدير لمكتب شؤون شبه الجزيرة العربية في وزارة الخارجية، وفي صيف عام 2021، قدم تغطية بصفته القائم بالأعمال أولًا في المنامة والبحرين ثم في أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة.

وقبل تعيينه في قيادة العمليات الخاصة المشتركة (JSOC)، شغل منصب مدير مكتب شؤون بلاد الشام ونائب مساعد وزير الخارجية بالإنابة في وزارة الخارجية الأمريكية، حيث كان مسؤولًا عن سوريا ولبنان والأردن.

وقبل ذلك شغل منصب نائب رئيس البعثة في سفارة الولايات المتحدة بأبو ظبي في الإمارات العربية المتحدة من آب 2014 إلى تموز 2017.

وبدأ غولدريتش حياته المهنية في السلك الدبلوماسي كمسؤول تناوب سياسي/قنصلي في الولايات المتحدة، ثم في القنصلية العامة بالقدس (1989-1991)، وعمل أيضًا مساعدًا للموظفين في مكتب شؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا (1991-1992).

نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى والمسؤول عن ملف سوريا ومنطقة بلاد الشام، إيثان غولدريتش بمقر القنصلية الأمريكية في اسطنبول – 8 من آذار 2022 (عنب بلدي/أمل رنتيسي)

> الولايات المتحدة منفتحة على فرض عقوبات إضافية، "نبحث دائمًا عن الأشخاص المتورطين مع النظام السوري الذين يستحقون معاقبتهم، فهذه بالتأكيد طريقة ضمن الطرق المبذولة من المجتمع الدولي، سواء في الأمم المتحدة أو لجنة حقوق الإنسان الدولية، فهذه هي الأماكن التي تُناقش فيها سلوكيات النظام

"داعشي".. وصمة تلاحق أبناء مقاتلي التنظيم في الرقة

طلاب في إحدى مدارس مدينة الرقة شمال شرقي سوريا- تشرين الثاني 2018 (رويترز)

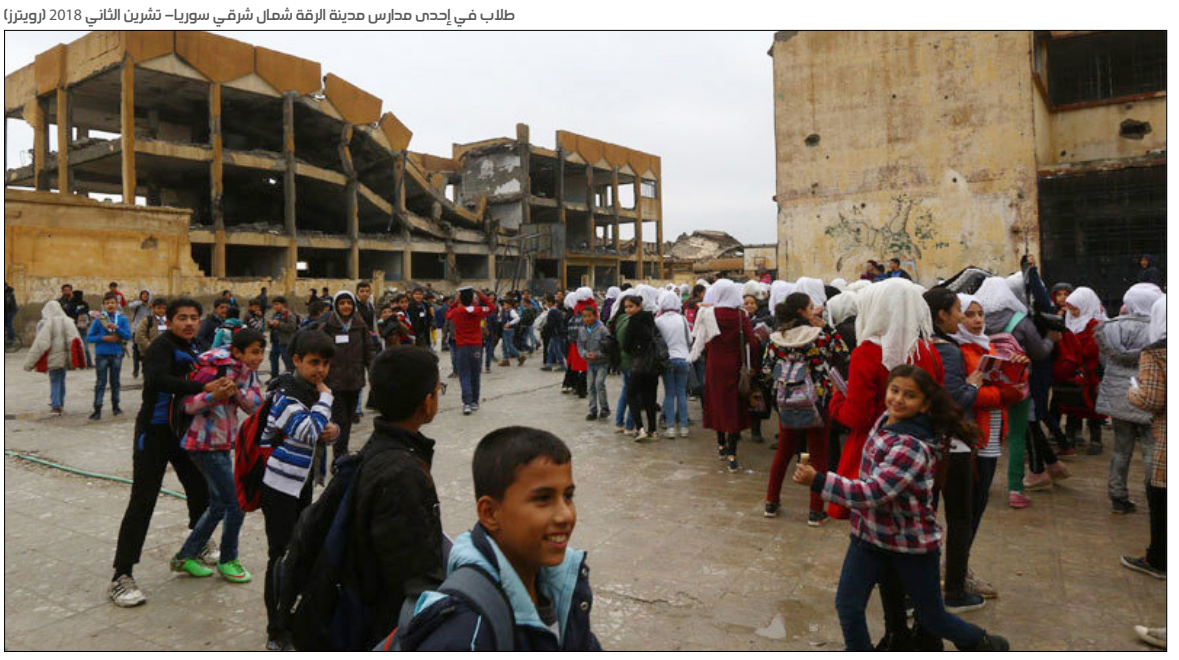

الرقة – حسام العمر

عاد الطفل عباس الحسن، البالغ عمره تسعة أعوام، إلى منزل عائلته بحي رميلة بالأطراف الشمالية الشرقية لمدينة الرقة، بعد أن تشاجر مع زملائه في المدرسة ووجهوا له إساءات لفظية انتهت بشجار فيما بينهم.

قالت أميمة الحسن (37 عامًا)، وهي أم الطفل عباس، إن ابنها يواجه باستمرار إساءات من أقرانه في المدرسة، ونعته بـ"الداعشي"، بحكم أن أباه كان مقاتلًا في تنظيم "الدولة الإسلامية".

يواجه أبناء مقاتلين في تنظيم "الدولة الإسلامية" عوائق وتحديات تمنعهم من الاندماج بأقرانهم، سواء كانوا في المدرسة أو في الحي والحارات التي يسكنونها.

خطر على الأطفال

خرجت أميمة من مخيم "الهول" قبل حوالي ثمانية أشهر، بعد وساطات عشائرية، لتتوجه إلى منزل أهلها في حي رميلة، بعد أن هُدم منزلها بقصف لطائرات "التحالف الدولي" خلال معارك السيطرة على الرقة نهاية العام 2017.

ولا تقتصر التحديات على الإساءات اللفظية أو التنمر، إذ يواجه الأبناء وأمهاتهم تحديات اقتصادية تتمثل في فقدان أغلب تلك العائلات للمعيل، بحكم أن رب الأسرة قد قُتل، أو لا يزال معتقلًا في سجون "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد).

وتضطر عائلات الأطفال إلى دفع أطفالها للعمل في مهن قد يكون بعضها خطرًا على حياتهم، أو يفوق طاقتهم الجسدية، مثل ورشات البناء أو المعامل والمنشآت الصناعية، بسبب عدم قدرة الأطفال على الاندماج مع بقية أقرانهم في المدرسة.

ورغم قلة عدد الأطفال الذين عادوا إلى مدينة الرقة من مخيمات احتجاز عائلات تنظيم "الدولة"، والافتقار لإحصائية رسمية تحدد عددهم، فإن عدم اندماجهم مع أقرانهم في المدرسة هو واقع ملموس، بحسب ما قاله أحد أعضاء "لجنة التربية والتعليم" في "مجلس الرقة المدني" لعنب بلدي.

عضو "لجنة التربية والتعليم"، الذي تحفظ على ذكر اسمه كونه لا يملك تصريحًا بالتحدث إلى الإعلام، أشار إلى أن من الخطأ الدفع بهؤلاء الأطفال بشكل مباشر إلى المدارس العامة في المدينة.

ويرى عضو اللجنة أن من الضروري افتتاح مركز تأهيل في المدينة يضم الأطفال الذين كان آباؤهم مقاتلين في صفوف التنظيم، قبل محاولات دمجهم بالمجتمع المحلي، لأنه "في حال تُرك الطفل دون رعاية أو إعادة تأهيل في المدارس العامة، فقد يتجاوز الأمر حدود التنمر، ويندفع الطفل إلى مزيد من الانطواء والانعزال عن المجتمع".

وتقدم بعض المنظمات المحلية في الرقة جلسات لنبذ طابع الحياة المتشددة التي قد تحملها نساء لمقاتلين سابقين في التنظيم، لا سيما اللواتي خرجن حديثًا من مخيم "الهول"، لكن من النادر جدًا أن توجد نساء عناصر التنظيم في تلك الجلسات.

كما تتحمّل إدارة المدارس العامة مسؤولية إقامة حصص تعليمية خاصة للتوعية ضد التنمر أو التعنيف المعنوي ضد الأطفال فيما بينهم، وفق ما أوصى به عضو "لجنة التربية والتعليم"، كون هذه المشكلة تدخل في سلوك الطفل لتسبب له مشكلة يومية، مثل الصداع وعدم التركيز أو التشويش في التفكير والتلعثم، وعدم الرغبة في الذهاب إلى أماكنه المعتادة مثل المدرسة، ما يعني تغيرًا في مستواه الدراسي.

وصمة اجتماعية مقلقة

تحميل الطفل أمورًا لا ذنب له بها، وخلق وصمة اجتماعية مقلقة مرتبطة به، هي مشكلة تنذر بمخاطر نفسية تنعكس سلبًا على الأطفال وسلوكهم الاجتماعي، سواء داخل المجتمع أو ضمن الأسرة التي ينتمي لها الطفل، وفق ما قاله الطبيب النفسي المقيم في الرقة محسن سليمان لعنب بلدي.

وأشار الطبيب النفسي إلى أن الحلول التي من يمكن اتباعها لمعالجة حالات كهذه تندرج ضمن خانتين، الأولى هي الحلول الاحترازية ومنها حملات التوعية والندوات الفكرية.

أما الخانة الثانية للحلول، وفقًا لما قاله الطبيب النفسي، فهي الحلول المعالجة بعد ظهور عوارض نفسية للتنمر، ويُستهدف فيها الشخص الذي ظهرت عليه تلك العوارض عبر محاولة إعادة دمجه بالمجتمع، كي لا ينفر منه ويبحث عن آليات للانتقام من هذا المجتمع في المستقبل.

ويرى الطبيب أن توعية المجتمع لتجاوز هذه الوصمة الاجتماعية، تقع على عاتق المجتمع المدني في الرقة والمنظمات المدنية، وبرامج ومشاريع التماسك المجتمعي التي تنظمها تلك المنظمات.

عمرها مئات السنين..

احتطاب ممنوع لأشجار محمية "جباتا" بالقنيطرة

القنيطرة – محمد فهد

محمية جباتا الخشب وطرنجة، محمية طبيعية حرجية، وواحدة من أهم معالم السياحة في محافظة القنيطرة التي تتميز بمناخ معتدل صيفًا، ما جعلها وجهة للسياح القادمين من مختلف المحافظات السورية.

تقع المحمية على السفح الجنوبي لمرتفعات جبل الشيخ من الجهة الشمالية من محافظة القنيطرة، وتبلغ مساحتها 133 هكتارًا، ويبلغ ارتفاعها نحو 1100 متر عن سطح البحر.

تحتوي الغابة على أنواع مختلفة من الأشجار، كالسنديان، والبلوط، والملول، والزعرور، والخوخ البري، والقندول، كما تحوي على عدد كبير من الطيور والحيوانات.

استطاع الأهالي بجهود فردية حمايتها طوال حربهم ضد النظام السوري حتى منتصف عام 2018، وبعد سيطرة النظام السوري على المنطقة وتفعيل مخفر الحراج الذي يتبع لمديرية الزراعة في القنيطرة، بدأت الأحوال تتجه نحو الأسوأ.

وتزايد قطع الأشجار تدريجيًا ليصل إلى حوالي 50 شجرة يوميًا، وخصوصًا في شتاء العام الحالي، مع قلة وقود التدفئة وانقطاع الكهرباء إذ صار قص الأشجار عشوائيًا دون رحمة.

قص بغرض الاتجار

أفاد مراسل عنب بلدي في القنيطرة، بأن النظام السوري و"حزب الله" يشجعان على قطع أشجار الغابات والتخلص منها، إذ تم فتح الحواجز أمام تجار الحطب الذين يقصون أطنانًا من الحطب، ويخرجونها إلى القرى والبلدات المجاورة، كبلدة حضر، أو إلى محافظة درعا، لبيعها في الأسواق بسعر 500 ألف ليرة للطن الواحد.

كما يشتري التجار أيضًا الحطب من بعض الأشخاص في البلدة، بمبلغ 350 ألف ليرة للطن، ويبيعونه في الأسواق بـ500 ألف للطن الواحد.

والأمر الآخر أن أهالي بلدة حضر، الذين تقع قريتهم من الجهة الشمالية للغابة، والقريبة لأراضيهم الزراعية، يقطعون الأشجار التي يبلغ عمرها مئات السنين من أجل توسعة أراضيهم الزراعية، بحسب ما رصده مراسل عنب بلدي في المنطقة، دون محاسبتهم من قبل الجهات الحكومية المختصة.

"أبو حسين"، رجل ستيني يقع منزله على طرف الغابة من الجنوب قال، "تعني لي هذه الغابة الكثير، فكلما ضاقت الدنيا بوجهي خرجت أشمّ رائحة الأشجار، وأسمع صوت الطيور، واليوم عندما أشاهد هذا المنظر من قص الأشجار وقطعها من الكعب قلبي يحترق".

وروى "أبو حسين" لعنب بلدي، كيف صمدت هذه الأشجار في وجه عدة حروب من الفرنسيين إلى يومنا هذا، "أما اليوم، فمن أجل بضع ليرات واتفاقيات ممنهجة، تسقط هذه الأشجار واحدة تلو الأخرى"، حسب تعبيره.

بدوره، قال أحد موظفي مخفر الحراج بالمنطقة، التابع لمديرية زراعة القنيطرة لعنب بلدي، إنه في كل يوم منذ بدء فصل الشتاء، يسجل قطع أكثر من 50 شجرة، بأعمار وأطوال مختلفة، ويقدّر وزن الشجرة الواحدة من ثلاثة إلى خمسة أطنان حطب أخضر، ما يجعل الأمر يزداد سوءًا.

وعند سؤاله حول تحركات المخفر بحق من يخالف، قال الموظف الذي تحفظت عنب بلدي عن ذكر اسمه لضمان سلامته، إن المخفر يعمل على كتابة الضبوط وإرسالها إلى مديرية زراعة القنيطرة، إضافة إلى تصوير قطع الأشجار وإرسالها، "لكن دون جدوى، إذ لا يوجد من يحاسب ويضبط المنطقة"، حسب تعبيره.

أشجار سنديان قرب برج الزراعة في غابة جباتا الخشب (عنب بلدي/محمد فهد)

حلب..

"قسد" تواصل خطف الأطفال وتجنيدهم في ميليشيا "الشبيبة"

مدرسة بالقرب من حي الرازي في مدينة حلب– 18 من تموز 2021 (عنب بلدي / صابر الحلبي)

عنب بلدي – حلب

يقوم نضال (40 عامًا) يوميًا بإيصال أخيه كمال، البالغ من العمر 16 عامًا، إلى مدرسته في حي الشيخ مقصود بمدينة حلب، وعند الانصراف ينتظره من أجل إعادته إلى المنزل، وذلك خوفًا عليه من اختطافه وأخذه، ليتم تجنيده لمصلحة إحدى الميليشيات التابعة لـ"قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، ضمن ما يسمى بـ"الشبيبة الثورية".

مكوّنات مجتمعية في المدينة، ومنظمات حقوقية سورية وأممية، تتهم "قسد" بإنشاء معسكرات للتدريب خاصة بالأطفال المجندين في مناطق بعيدة عن مناطق سكنهم الأصلي، ومنع الأطفال من التواصل مع عائلاتهم، عن طريق الاختطاف والتجنيد، ما دفع الأهالي إلى الخوف على مصير أطفالهم.

خطف أمام الناس

قال نضال، الذي تحفظت عنب بلدي على ذكر اسمه الكامل لأسباب أمنية، "هناك أشخاص يعملون في (مجلس الشبيبة الثورية) التابع لحزب (الاتحاد الديمقراطي)، ومهمتهم فقط البحث عن اليافعين من أجل الحديث معهم لينضموا لمصلحة (الشبيبة)، ويُقدم لهم راتب شهري، وهو يعتبر نوعًا من الإغراء لهؤلاء اليافعين من سن 14 عامًا وحتى 18 عامًا".

وفي حالة رفض الأطفال الانضمام، تتم عملية الخطف، وفق ما قاله نضال لعنب بلدي، الذي يعمل في محل لبيع الأجهزة الكهربائية، وأحيانًا تكون عملية الخطف في ساعات النهار، "لكن لا أحد يتجرأ ويتحدث عما يحصل، حتى إن بعض الناس يشاهدون ما يحصل، ولكنهم لا يتحدثون خوفًا من الاعتقال".

في نيسان 2021، قدّم الأمين العام للأمم المتحدة إلى مجلس الأمن الدولي تقريره السنوي حول "الأطفال والنزاع المسلح" عن عام 2020، وجاء فيه أن سوريا حلّت ثالث أسوأ بلد بالعالم في تجنيد واستخدام الأطفال بعد الكونغو والصومال، حيث جُنّد 837 طفلًا في سوريا عام 2020 فقط، وحلّت "قسد" في المرتبة الثانية من حيث تجنيد واستخدام الأطفال، بعد أن تصدّرت "هيئة تحرير الشام" بقية أطراف النزاع بهذا الانتهاك.

كما تحققت الأمم المتحدة من 119 حالة تجنيد واستخدام للأطفال تحت مظلة "قسد".

رواتب ولقاءات

تحدث حالات تجنيد اليافعين لمصلحة "مجلس الشبيبة" بشكل مستمر، ويتلقى العاملون في هذا المجال مكافآت مالية على قيامهم بإقناع اليافعين بالانضمام، وحتى إنهم يمنحون رصيدًا ماليًا مفتوحًا يشمل المصاريف، خلال قيامهم بالبحث عن المنضمين طوعًا بعد الحديث والنقاش معهم، وتتم هذه اللقاءات في الشوارع والأزقة وضمن المقاهي، بحسب ما قاله نضال.

"الأشخاص الذين يعملون على تجنيد الأولاد معروفون في منطقتي الأشرفية والشيخ مقصود، وعند رؤية الأهل ابنهم وهو برفقة هؤلاء الأشخاص، يتولد لديهم خوف من أنهم قاموا بغسل عقل ابنهم، وبالتالي يمكن أن يكون قد اقتنع بالانضمام، وحتى في حال رفض الأهل وكان الولد موافقًا، يتم أخذه رغمًا عن أهله، وقد حدث ذلك عدة مرات"، وفق ما قاله نضال.

وثّق تقرير "الشبكة السورية لحقوق الإنسان" الصادر في 2021، ما لا يقل عن 537 حالة تجنيد لأطفال على يد "قسد" منذ تأسيسها في 2014 حتى تاريخ صدور التقرير، وأُطلق سراح بعض منهم وأُعيد تجنيد آخرين، وهكذا في حلقة مستمرة.

وذكر التقرير، أن تطويع الأطفال للانضمام إلى صفوف قوات "قسد" ينطوي على محاولات إقناع وتشجيع، وتقديم مغريات، وغالبًا ما تشترك المدارس التابعة لـ"الإدارة الذاتية" في دعم عمليات تجنيد الأطفال، وبالتوازي مع أسلوب التطويع يتم التجنيد عبر خطف الأطفال سواء خلال وجودهم في المدارس أو الشوارع أو الأحياء.

مطلع كانون الثاني الماضي، فقدت أمينة (30 عامًا) في حي الشيخ مقصود أخاها آلان، البالغ من العمر 15 عامًا، من أمام مدرسة "حليمة السعدية" في حي الشيخ مقصود. وبحسب ما قالته أمينة لعنب بلدي، "اختطف آلان بعد رفضه الانضمام إلى (مجلس الشبيبة)"، ومنذ ذلك الحين وحتى إعداد هذا التقرير لا يزال مصير آلان غير معروف بالنسبة لعائلته.

وأثر التجنيد على مستوى الطفل يكون أشد من أثر الاختطاف على عائلته، فإذا كان التجنيد إجباريًا عبر الخطف أو غيره من الطرق، يكون الطفل غير قادر على اتخاذ القرارات، والتجربة ستكون صادمة وصعبة جدًا بفقدانه إرادة تحديد مصيره، لأن العمل العسكري له طريقة محددة، والمهمات الموكلة إليه قد لا تكون متناسبة مع عمره، وهذا يزيد الأثر النفسي عليه، وسيخلّف العديد من المشكلات النفسية التي ستصحبه في بقية مراحل حياته.

جريمة حرب

لا يوجد أي حالة من الرقابة القانونية والحقوقية على قضية اختطاف الأطفال وتجنيدهم من قبل "قسد"، لأن جميع المؤسسات المعنية في المنطقة تتبع إلى "الإدارة الذاتية".

وتسيطر "الإدارة الذاتية" على أجزاء من محافظة حلب منذ سبع سنوات، وأبرز هذه الأجزاء حيّا الشيخ مقصود والأشرفية.

والإعلان عن حالة خطف عادة ما يكون من قبل أهالي الأطفال المخطوفين عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وبحسب محام مقيم في منطقة الأشرفية، فإن "اختطاف القصّر أو اليافعين وزجهم في صفوف (الإدارة الذاتية) هو جرم بحد ذاته قد يرقى إلى جريمة حرب".

وأقر المشرع السوري حماية حرية التنقل كتصرف إرادي للفرد، يبدي بموجبه صراحة نيته التحرك والتجول وفق مشيئته لممارسة أعماله وحقوقه وحرياته الأخرى، فلا يمكن للشخص أن يتنازل عنها، نظرًا إلى ارتباطها الوثيق بالجانب المعنوي من شخصيته الإنسانية.

وبموجب المادة رقم "481" من قانون العقوبات السوري، يعاقَب كل من خطف أو أبعد قاصرًا لم يكمل الـ18 عامًا من عمره، ولو برضاه، بقصد نزعه عن سلطة من له عليه الولاية أو الحراسة، بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاثة أعوام وغرامة 100 ليرة سورية.

"مثل هذه الجرائم المتكررة في مناطق (قسد) لا يوجد أي سلطة فعلية تعاقب عليها، رغم أنها تتعارض مع (العقد الاجتماعي) الذي صاغته (الإدارة الذاتية)"، وفق ما قاله المحامي لعنب بلدي.

وأوصى المحامي، الذي تتحفظ عنب بلدي على ذكر اسمه لأسباب أمنية، بإغلاق "مجالس الشبيبة" فورًا، لأنها "لا تحترم المبادئ التي تنادي بها (الإدارة الذاتية) ولا أي ميثاق من المواثيق الدولية والقانون الإنساني الدولي".

ويستفيد الأطفال في النزاع المسلح من الحماية العامة المنصوص عليها في القانون الدولي الإنساني على غرار المدنيين أو المقاتلين.

وتعتبر كل عمليات التجنيد، بما في ذلك القسري، لمن تقل أعمارهم عن الـ15، من الأمور التي يحظرها قانون المعاهدات الدولي في البروتوكولين الدوليين لعام 1977، الملحقين باتفاقية "جنيف" لعام 1949 واتفاقية "حقوق الطفل"، ويعتبرها القانون جريمة حرب بموجب نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية في مادته الثامنة.

وجاء في تقرير "المركز السوري للعدالة والمساءلة"، في تموز 2020، أن "قسد" قطعت وعودًا بإنهاء هذه الممارسة، وعلى الرغم من التعهد والأنباء التي تفيد بتنفيذ جوانب رئيسة من الخطة، لا تزال هناك اتهامات بقيام "قسد" بتجنيد فتية وفتيات لا تتجاوز أعمارهم 11 عامًا.

وتتهم المنظمات الحقوقية جميع أطراف النزاع في سوريا بخطف الأطفال لاستخدامهم من أجل التجنيد، إلا أن الخصوصية في مناطق سيطرة "قسد" تأتي من التزام أنشأته "قسد" نفسها بتوقيعها اتفاقية مع الأمم المتحدة لحماية الأطفال ضمن مناطق نفوذها، وفق ما قاله مدير منظمة "سوريون من أجل الحقيقة والعدالة"، بسام الأحمد، في حديث إلى عنب بلدي.

ولا مبرر لوجود هذا الانتهاك، لأن "قسد" تملك ما لا يقل عن 30 ألف مقاتل في العمليات العسكرية، وفق ما قاله الأحمد، وبالتالي خطف الأطفال لن يُحدث أي فرق في هذه المواجهات، كون أعمارهم غير مناسبة لخوض نزاع مسلح.

وبمقابل ذلك، "بشكل دوري، تصرّح مكاتب حماية الطفل أن هناك عمليات تسريح للأطفال من التجنيد، إلا أن الجريمة الأساسية وهي خطف وتجنيد الأطفال لم تتوقف إلى الآن، وبالتالي يجب على (قسد) أو (الإدارة الذاتية) إيقاف جميع أشكال تجنيد الأطفال والكشف عن مصير المختفين منهم، خصوصًا أن القائمين على التجنيد هم تحت سلطة (الإدارة الذاتية)"، وفق ما أوصى به الحقوقي الأحمد.

وعادة ما تكون عملية التجنيد متوقفة على احتياجات جهة التجنيد، ورغم إنشاء "الإدارة الذاتية" عام 2020 مكتبًا خاصًا يتعلق بتجنيد الأطفال في صفوف التشكيلات العسكرية التابعة لها، فإن عمليات التجنيد هذه لا تزال تحوم حول مصير الأطفال وأمنهم.

> الأشخاص الذين يعملون على تجنيد الأولاد معروفون في منطقتي الأشرفية والشيخ مقصود، وعند رؤية الأهل ابنهم وهو برفقة هؤلاء الأشخاص، يتولد لديهم خوف من أنهم قاموا بغسل عقل ابنهم، وبالتالي يمكن أن يكون قد اقتنع بالانضمام، وحتى في حال رفض الأهل وكان الولد موافقًا، يتم أخذه رغمًا عن أهله، وقد حدث ذلك عدة مرات"

مع تراجع العملة جراء "الغزو" الروسي لأوكرانيا

"الحوارنة" يقلبون مدخراتهم من الليرة إلى الدولار والذهب

قطع نقدية (صورة تعبيرية)

درعا – حليم محمد

يتابع أحمد (38 عامًا) نشرات سعر صرف الليرة السورية أمام الدولار، وما إن بدأت الليرة بالانخفاض، حتى سارع وحوّل مبلغًا كان يدخره بقيمة ستة ملايين ليرة سورية إلى 1567 دولارًا.

وبعد تراجع قيمة الليرة، التي بلغت 3900 أمام الدولار في 9 من آذار الحالي، يسعى سكان سهل حوران في محافظة درعا لتحويل عملتهم إلى الدولار، تخوفًا من فقدان قيمتها، بينما لجأ بعضهم الآخر لشراء الذهب.

وترافقت ظروف انخفاض قيمة الليرة السورية مع "الغزو" الروسي لأوكرانيا، وجملة ما يعيشه الاقتصاد السوري من صعوبات، في حين تصدر حكومة النظام قرارات تزيد في هذه الصعوبات، بينها رفع الدعم عن أكثر من 500 ألف عائلة، مع ارتفاع أسعار المواد الأساسية شبه المتكرر الذي يعانيه الناس.

الادخار حماية للمال

أحمد، تتحفظ عنب بلدي عن ذكر اسمه الكامل لأسباب أمنية، قال لعنب بلدي، إنها المرة الأولى التي يحوّل فيها عملة سورية إلى الدولار، رغم انهيارات سابقة خلال الأعوام الماضية، ولكن هذا الانخفاض مخيف لأنه متعلق بالحرب التي شنتها روسيا على أوكرانيا.

كما وجدت جيهان (28 عامًا)، تحفظت عنب بلدي عن ذكر اسمها الكامل لأسباب أمنية، تحويل المبلغ المالي الذي بحوزتها إلى الذهب، وسيلة أفضل أمام خطورة تقلبات سعر الصرف.

وقالت لعنب بلدي، "اشتريت أساور ذهب بمبلغ ثلاثة ملايين ليرة كانت بحوزتي، وأرى أن الذهب أكثر استقرارًا من التحويل للعملات، كما أنه لا يخضع لأعمال المضاربة".

في حين يرى "أبو محمد" (55 عامًا)، اسم مستعار لأسباب أمنية، أن الحل الأمثل هو تنمية هذا المال عبر شراء العقارات، وبرأيه كل الخيارات جيدة سوى الاحتفاظ بالليرة السورية المرشحة للانهيار.

وأفاد صرّاف التقته عنب بلدي (طلب عدم الكشف عن اسمه)، أن هناك إقبالًا كثيفًا من قبل السكان على شراء الدولار، في حين يشهد سعر الصرف تقلبات بين الانخفاض والارتفاع، ولكن الطلب على الدولار هو السائد حاليًا.

وسجلت أسعار المواد الغذائية ارتفاعًا ترافق مع بدء انهيار الليرة السورية الأسبوع الماضي، إذ ارتفع كيلو السكر من 2500 ليرة سورية (56 سنتًا) إلى 2700 ليرة سورية (70 سنتًا).

وقفز سعر كيلو الأرز الطويل من 6000 ليرة سورية (1.56 دولار) إلى 7500 ليرة سورية (1.95 دولار)، وكيلو الشاي من 25 ألف ليرة سورية (6.52 دولار) إلى 29 ألفًا (7.57 دولار)، وليتر زيت القلي من 7500 ليرة سورية (1.59) إلى 13 ألف ليرة (3.3 دولار).

تأثير الحرب الروسية على الاقتصاد السوري

ما إن بدأت الحرب الروسية على أوكرانيا حتى تأزم من جديد الاقتصاد السوري، وظهر ذلك بانخفاض قيمة الليرة وارتفاع الأسعار بشكل ملحوظ، خصوصًا أن روسيا هي بوابة النظام لكسر العقوبات المفروضة عليه، وهي منشغلة حاليًا بحرب لا تُتوقع نهايتها.

وقال وزير المالية في "الحكومة المؤقتة"، عبد الحكيم المصري، لعنب بلدي، إن الليرة السورية بدأت بالانخفاض التدريجي وشبهها بـ"دبيب النمل"، كي لا يشعر السكان بخطورة الانخفاض.

ويرى المصري أن من الطبيعي أن يحوّل بعض السكان أموالهم إلى الذهب، وقد ارتفع غرام الذهب مع بدء المعارك في أوكرانيا أربعة دولارات إضافية.

وعن سبب تخوّف السكان من انهيار العملة قال المصري، إن ضعف الاقتصاد السوري سببه انعدام الناتج المحلي المقتصر حاليًا على الخدمات ورواتب الموظفين، في حين خسر النظام مردود القطاعات الأساسية، كالنفط الذي كان يسهم في 24% من الناتج المحلي، وبعد أن كان النظام في قائمة المصدّرين، صار من المستوردين، بالإضافة أن الصناعة والزراعة هي قطاعات صارت خاسرة وكذلك السياحة.

وأضاف المصري أن عجز ميزانية النظام للعام الحالي بلغ أربعة تريليونات ونصف تريليون ليرة سورية، ووصل في عام 2021 إلى تريليونين ونصف تريليون ليرة سورية.

كما توقّع ارتفاعًا جنونيًا للأسعار، وهذا مرتبط بارتفاع أسعار النفط والغاز وأجور النقل عالميًا، وكان النظام يلتف على العقوبات الاقتصادية بتحويل العملات عن طريق روسيا، وهي الآن معاقَبة من دول العالم.

وربط المصري بين الحرب الروسية على أوكرانيا وضعف الاقتصاد السوري، إذ كانت روسيا تدعم النظام السوري عن طريق الحوالات المالية والقمح وبعض المنتجات الغذائية، وكل هذا سيتوقف حاليًا في ظل الحرب الدائرة.

أمراض "المقالع الحجرية".. معاناة أخرى لقاطني مخيمات إدلب

إدلب – هاديا منصور

يُصاب الطفل رائد البكور (خمس سنوات) بحالة ذعر متكررة جراء التفجيرات الناجمة عن المقالع الحجرية القريبة من مخيمهم في كفرلوسين، ما جعله منزويًا ويرفض اللعب والخروج من الخيمة في كثير من الأحيان.

قالت والدته حليمة الجاموس (38 عامًا) لعنب بلدي، إنها لم تستطع علاج حالة ابنها النفسية جراء استمرار المشكلة الناجمة عنها، وهي التفجيرات المستمرة الصادرة عن المقالع الحجرية بين الحين والآخر.

وأضافت السيدة، أن المقالع الحجرية صارت مشكلة عامة يعاني منها معظم ساكني المخيم الذين تضرروا بشكل كبير من الأصوات المزعجة، أو الغبار والحصى المتطاير في أثناء التفجيرات إلى مسافات بعيدة، ووقوعه فوق الخيام والطرقات العامة، ما صار يهدد حياة ساكني المخيمات بالخطر.

تشكو رئيفة حاج عمر (40 عامًا) من بكاء طفلتها المتكرر كلما سمعت أصوات الانفجارات، وهو ما تسبّب بآثار نفسية لدى الطفلة، إذ صار الخوف العنوان العريض لحياتها، فهي تخشى العالم الخارجي، كما أن سماع أي صوت مرتفع يرعبها.

وتتساءل رئيفة، "كأن أصوات الحرب والانفجارات مصرة على ملاحقتنا حتى إلى منفانا هنا، أما آن لنا أن نعيش بسلام كسائر البشر في العالم، أم أنه كُتب علينا الشقاء طوال حياتنا".

تأثيرات خطيرة على الأطفال

وكثيرًا ما تلاحَظ لدى الأطفال في المخيمات القريبة من المقالع الحجرية تغيرات في السلوك، وعلاماتها صدمة وإجهاد شديد عقب الانفجارات المتكررة، وتشمل السلوكيات النفسية القلق الشديد والانزواء، والكوابيس، ومشكلات النوم والسلوك العدواني، وفق ما أوضحته المرشدة الاجتماعية أمل زعتور لعنب بلدي.

وأشارت إلى أن هؤلاء الأطفال بحاجة إلى ترفيه ودعم نفسي، ومتابعة أحوالهم، ووضع حد للأسباب التي تضعهم بمثل تلك الضغوطات النفسية.

وانتشرت المقالع الحجرية في الجبال القريبة من المخيمات، وهي تعتمد في عملها على طحن الحجارة المستخرجة من الجبال، وتحويلها إلى مواد بناء كالرمل والحجارة والحصى وغيرها.

غير أن وجود هذه المقالع على مقربة من الأماكن السكنية ترك آثاره السلبية على حياة المدنيين والأراضي الزراعية والمنظومة البيئية من تربة وغطاء نباتي، وأسهم في التصحر ونقص عدد المناطق الخضراء والحرجية.

أمراض تنفسية

ولم تقتصر أضرار المقالع الحجرية على الرعب الذي تسببه للأطفال والنساء، جراء التفجيرات التي تشبه بأصواتها قصف الطائرات الحربية الروسية التي لطالما أرعبت المدنيين، وتسببت بمجازر وعمليات نزوح جماعية، وإنما أيضًا بالأمراض التنفسية التي يعاني منها كثيرون جراء الغبار الكثيف.

وتعاني الخمسينية أمون الصبوح من أمراض مزمنة في جهازها التنفسي، وهو ما يجعلها تتردد على المراكز الصحية باستمرار للخضوع لجلسات رذاذ متكررة.

وقالت، إن وجود مخيمها في "باتنته"، على مقربة من المقالع الحجرية، يتسبّب لها بمشكلات صحية، ولا تستطيع فعل شيء، إذ لا مأوى لها سوى تلك الخيمة "البالية" بعد نزوحها في ريف إدلب الجنوبي.

وأشارت إلى أن الطبيب نصحها بالابتعاد عن الأماكن التي يكثر فيها الغبار والتلوث، ومحاولة إيجاد سكن في مناطق تحوي أشجارًا وطبيعة، وهو ما لا يمكنها فعله أمام ضعفها وقلة حيلتها، وعدم استجابة أي من الجهات لمعاناتها ومعاناة ساكني مخيمها.

وعن الأضرار الصحية الناجمة عن الغبار الصادر عن المقالع الحجرية، قال الطبيب الاختصاصي بالأمراض التنفسية محمد الحسين، إن استنشاق الغبار بجزئياته الدقيقة يؤدي إلى تراكم داخل الرئتين، وبالتالي مشكلات تنفسية خطيرة، وتترافق معها إصابة الشخص بالتهاب الأنف التحسسي، والعطاس، والسيلان، والسعال، وصعوبة التنفس، والصداع الناتج عن احتقان الجيوب الأنفية.

ويضاف إلى ذلك الإصابة بالربو، وضيق الصدر، والالتهاب الرئوي، الذي يمكن أن يتطور إن لم يعالَج بسرعة إلى سرطان الرئة المهدد للحياة.

وتابع الطبيب الحسين أن للغبار أضرارًا أخرى على الجلد، كالحساسية، والحكة، وعلى العين التي عادة ما تصاب بالتهاب الملتحمة والتحسس، كما أن للغبار دورًا في نقل بعض الأمراض المعدية كالسحايا، والفطريات، والإنفلونزا.

ونصح الطبيب بالابتعاد عن الأماكن التي يوجد فيها الغبار، ووضع الكمامات، وتجنب الخروج من المنازل إلا للضرورة القصوى.

وبحسب ما رصدته عنب بلدي من مصادر محلية، قُدمت العديد من الشكاوى للجهات المسؤولة في المنطقة من أجل إيقاف العمل في المقالع الحجرية، ونقلها بعيدًا عن المخيمات التي تعاني أصلًا من ضعف كبير في القطاع الطبي، غير أن تلك الشكاوى لم تؤخذ بعين الاعتبار ولم تُحل المشكلة حتى الآن.

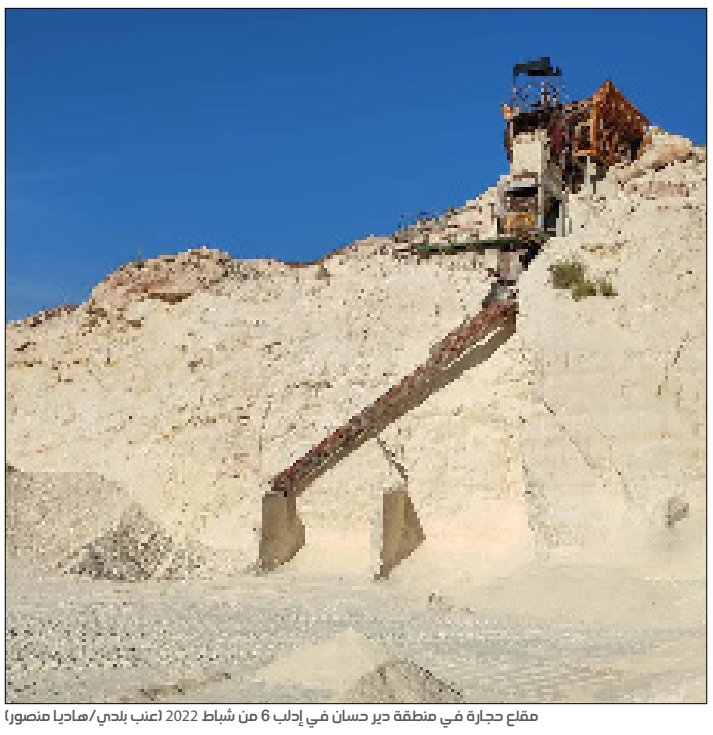

مقلع حجارة في منطقة دير حسان في إدلب 6 من شباط 2022 (عنب بلدي/هاديا منصور)

احتياجات إنسانية عاجلة في سوريا خلال 2022

المصدر: "USAID"

14.6 مليون
فرد بحاجة سريعة إلى المساعدات الإنسانية
زيادة قدرها 1.2 مليون فرد مقارنة بعام 2021

12 مليون
يعانون من انعدام الأمن الغذائي

6.9 مليون
نازح دون مأوى آمن

5 ملايين
يعانون من صعوبات كارثية
في تأمين احتياجاتهم الأساسية

من المتوقع أن يحتاج 5.5 مليون من الأطفال والنساء الحوامل والمرضعات إلى تدخلات غذائية خلال العام

أسباب تدهور المعيشة

- التردي الاقتصادي المتسارع
- الصدمات المناخية
- استمرار النزاع المسلح
- النزوح القسري
- محدودية الوصول إلى الخدمات المعيشية
- نقص فرص العمل

بشار الأسد في أوكرانيا

إبراهيم العلوش

أعادت حرب روسيا في أوكرانيا طرح موضوع سوريا، وصارت الصحافة العالمية تقارن ما يحدث هناك بما حدث في سوريا، وتقارن الرئيس الأوكراني المدافع عن بلاده، ببشار الأسد الذي سلّم بلاده للروس وللإيرانيين من أجل أن يبقى هو ومجموعته الضالعة بالجريمة السورية.

الرئيس بوتين يقدم نموذج بشار الأسد كنموذج بديل عن زيلينسكي، الرئيس الأوكراني الحالي الذي "تلوث" بالديمقراطية الغربية، ولذلك شنّ الجيش الروسي منذ 24 من شباط الماضي حربًا غاشمة ضد الشعب الأوكراني، الرافض للمنتجات الروسية في الرئاسة، المتمثلة بتشكيلة من النماذج تشابه الأسد مثل لوكاشينكو في روسيا البيضاء، أو قديروف في الشيشان، تلك الدمى الروسية التي يروق لبوتين التلاعب بها مقابل بقائها في كراسي الحكم التي ترفضها شعوبهم.

كان من المقرر حسب الشائعات التي روّجها الروس، أن يتم نفي بشار الأسد إلى جزيرة القرم الأوكرانية، إذا اتفق الروس مع العالم على صفقة مناسبة لطموحهم في سوريا، وفي صيف 2017، زار عدد من أفراد عائلة الأسد الجزيرة، وأُشيع بأن العائلة اشترت بيوتًا فخمة للاستقرار هناك، وأُعلن في عام 2018 عن زيارة قريبة لبشار الأسد إلى جزيرة القرم، ربما كان من المقرر تحويل بشار الأسد إلى تاجر حبوب يستثمر أمواله التي نهبها من سوريا في مجال يحتاج إليه العالم، خاصة أن جزيرة القرم وأوكرانيا من المناطق المشهورة في زراعة الحبوب على مستوى العالم، وقد عُقدت اتفاقيات بين ميناء "اللاذقية" ومواني جزيرة القرم تمهيدًا لذلك السيناريو المخادع الذي روّج له الروس الذين استولوا على الجزيرة بشكل غير شرعي في العام 2014.

ولكن نموذج بشار الأسد استمر، وصار مرعبًا للأوكرانيين وللعالم، فهو من قاد تدمير سوريا، وحوّل نصف شعبها إلى نازحين ولاجئين، وحوّل النصف الباقي إلى جياع يقفون طوال النهار من أجل أن يحصلوا على ربطة خبز أو جرة غاز، وتحوّل هذا النموذج إلى عبء أخلاقي على الروس بالإضافة إلى الأوزار الكثيرة التي يرتكبونها كل يوم في أوكرانيا.

وعادت الصحافة العالمية لاستذكار تكتيكات نظام الأسد التي وضعها الروس، عبر ممارسة التدمير المنهج في سوريا، وقد تحوّلت تلك التكتيكات اليوم إلى نهج راسخ تنفذه القوات الروسية، سواء في قصف المدنيين، واستهداف المدارس والمستشفيات وآخرها مستشفى "ماريوبول" للأطفال، وتكثيف موجات التهجير، ونشر الأكاذيب حول القصف والتنكر له، والتلويح بالقصف الكيماوي واتهام الطرف الآخر بتنفيذه "ضد نفسه"، من أجل اتهام القوات الروسية الحنونة التي لا تستهدف إلا محو أوكرانيا من الوجود!

وعلى غرار ما حدث في سوريا، حيث أطلقت القوات الروسية على قاعدتها الاستعمارية اسم مركز المصالحة الروسي، فقد أنكرت وسائل الإعلام الروسية قيام الجيش الروسي بالحرب على أوكرانيا، وكل ما يفعله هو مجرد عملية تكتيكية بسيطة!

وهذه العملية ليست حربًا ولا تتضمن إلا تغيير الحكومة الأوكرانية، النازية كما تزعم روسيا، وسوف تترك للشعب الأوكراني الخيار من أجل تثبيت حكومة نموذجية لا تتناقض مع النماذج الروسية المطروحة الأسد- قديروف- لوكاشينكو!

كل الصور القادمة من أوكرانيا تذكّرنا بالقصف الروسي لمدينة حلب وللغوطة وحمص وحماة وغيرها، وتذكّر بقصف النظام للمدنيين، وتخريب كل ما هو متحضر في البلاد، وقد أنجزت روسيا ذلك التخريب بالتعاون مع إيران، وها هي تباشر تخريب أوكرانيا على مرأى من العالم لإثبات قدرات جيشها!

ولم تتورع القيادة الروسية عن التلويح بالسلاح النووي، ولا عن نشر الادعاءات بأن الأوكرانيين القوميين يقومون مع الأمريكيين بتسميم الحيوانات والطيور من أجل نشر العدوى والأمراض في روسيا، وكأنما نشر الأمراض ليس خطرًا عالميًا، وهو لن ينحصر في أي مكان أو قارة، وإنما يتمدد بشكل متسارع عبر العالم، وفيروس "كورونا المستجد" (كوفيد-19) كان علامة على سرعة الانتشار بفضل وسائل التنقل والاختلاط بين أبناء الجنس البشري!

بشار الأسد صار علامة دولية على الخراب، وشبحه يلوح في سماء أوكرانيا اليوم، على عكس الرئيس الأوكراني الذي يرفض حتى الآن تسليم بلاده للمحتل الروسي، ويرفض أكاذيب "البروباغندا" الروسية، ويحاول الحفاظ مع جيشه وشعبه وداعميه الغربيين، على قدر من الاستقلال في الجوار من القوة الروسية التي تشعر بالخيبة لعدم لحاقها بالثورة التكنولوجية الحديثة، حيث فشل نظام بوتين الاستبدادي بجعل روسيا تحافظ على مكانتها السابقة، ولم يعد لديه إلا التهديد بالأسلحة النووية التي ورثها من الاتحاد السوفييتي قبل انهياره، وها هو يقوم بتدمير أوكرانيا، كما دمّر سوريا.

أعادت هذه الحرب علينا ما تفاجأنا به مع أول صاروخ يدخل بيوتنا، ومع أول طيار يحلّق فوقنا، ليس لحمايتنا، بل لقصف أطفالنا، واكتشفنا لحظتها الثمن الذي سندفعه لاستسلامنا الطويل لنظام الأسد، فهل تستسلم أوكرانيا لبوتين ولنظامه الاستبدادي؟ إذا حدث ذلك فعليهم دراسة شخصية بشار الأسد ليقرؤوا مستقبلهم في تلافيف ابتسامته البلهاء!

نهاد قلعي بريشة إيرانية

نبيل محمد

خاصّة هي قصة الفنان السوري نهاد قلعي، ولها وقعها الخاص لشدة رمزيَّتها، وقدرتها على أن تكون مرجعيّة في الحديث عن علاقة النظام السوري بالفن والفنانين، وعلى الرفع من قيمة من شاء ومسح نقيضه، ولها أيضًا بين فترة وأخرى مبررات للاستذكار، ليس في ذكرى وفاة الفنان الكبير الذي قلّ نظيره سوريًا وربما عربيًا، ولكن في طرق استذكار "الميديا" والمؤسسات الفنية والثقافية السورية له بين حين وآخر، وسط إصرار دائم على تقديمه كتراث فني، يسترجعه البلد الحنون الذي لا ينسى مبدعيه بصورة بالأبيض والأسود، ويقدّم الجمل الكلاسيكية ذاتها في رثائه المتكرر، مرفقة أحيانًا بتعليق لرفيق دربه دريد لحّام، الذي إن تمثّل النظام السوري على هيئة فنّان فلا بد أن يحمل علائمه بطرق حديثه، والزيف الذي لا يغادره في أي لقاء على وسيلة إعلامية.

بعض الفعاليات التي تقام في سوريا اليوم، والتي يمكن تتبعها من خلال تغطية وسائل الإعلام المحلية لها، لا يمكن وصفها إلا بالغرابة، كانت واحدة منها أُجريت مؤخرًا في دمشق، حيث فاز رسّاما كاريكاتير إيرانيّان بالجائزتين الأولى والثانية، في مسابقة تصويرية للفنان الراحل نهاد قلعي، على اعتبار أنه شخصية العام في مهرجان سوريا الدولي الـ18 للكاريكاتير. المهرجان الذي شهد مشاركة أكثر من 600 فنان وفق وسائل الإعلام المحلية، التي غطّت الحدث، واحتفت بالرسامَين الفائزَين اللذين من المفترض أنهما قدّما رؤية تصويرية جديدة في شخصية الفنان الراحل، واللذين غالبًا لا يعرفان تمامًا قصة حياته ومرضه وموته الحقيقية، ولا بد أن الرواية التي كتبتها وسائل الإعلام المحلية عنه هي ذاتها ما عرفه الفائزان بالجائزة.

يرد في تقرير وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا) عن المهرجان والجوائز، أن الراحل من مؤسسي المسرح القومي والتلفزيون السوري، ورائد من رواد الفن الأوائل في سوريا، وهو ما لا يخفى على أحد، وأنه "تعرّض لاعتداء سنة 1976 أدى إلى إصابته بعجز دائم أثّر على حضوره الفني ليرحل عنا عام 1993 بعد معاناة مع الآلام والأمراض". هذا الاعتداء دائمًا ما يمر بهذا الشكل في الإعلام المحلي، ودائمًا لا يتم الحديث عن تفاصيله، لدرجة أنه كثيرًا ما يخضع لمبادرات فردية لاستكماله، ولنشر الشائعات حوله، ولعل ذلك مناسب للإعلام الذي يحب تغييب تفاصيل الحدث الحقيقي، إذ إن من مارس هذا الاعتداء الذي أدى إلى مرض عضال أقعد الفنان في المنزل حتى وفاته، هو ضابط في "سرايا الدفاع" التي كان يقودها رفعت الأسد المقيم في أحضان النظام السوري اليوم، والهجوم عليه تم بعد الإساءة له، واستخدام اسم "بوراظان" في التخاطب معه، وهو ما أزعجه. ذلك الاعتداء تم في النادي العائلي بباب توما في دمشق، وأمام أعين شاكر بريخان والصحفي اللبناني جورج خوري وبعد مغادرة دريد لحّام الجلسة بقليل، وفق ما أرّخه الراحل بشار إبراهيم، ووفق ما هو معروف أيضًا لدى أوساط فنية وثقافية سورية عديدة، كانت دائمًا تسأل عن جانب مغيّب من القصّة، هل مبررها هو مجرد ملاسنة صغيرة؟ ثم من هو هذا الضابط؟

من المعروف أن نهاد قلعي قضى أواخر أيامه وحيدًا، مغيّبًا عن كل شيء، مهملًا من قبل الدولة ومؤسساتها، في ظل تصاعد نجم زميل عمره دريد لحّام حينها، الذي كان حاضرًا في كل لحظات تكريم قلعي بعد وفاته، وفي البرامج التي تستذكر سيرته وفنه، كما أنه أحد المسؤولين عن فوز الرسامَين الإيرانيَّين بجائزة أفضل كاريكاتير معبّر عن شخصية قلعي، فهو عضو لجنة التحكيم في المهرجان.

أليس ذلك مشهدًا فيه من الغرابة والسريالية الكثير؟ أن يمنح دريد لحّام جائزة لرسّام إيراني رسم لوحة كاريكاتيرية عن زميل عمره الراحل نهاد قلعي في دمشق عام 2022 برعاية النظام السوري مع سبق الإصرار والترصّد.

الفنان السوري الراحل نهاد قلعي

عنب بلدي
ملف العدد 525
الأحد 14 آذار 2022

إعداد:
زينب مصري
حسن إبراهيم
جنى العيسى
حسام المحمود

عنصر في "الجيش الوطني" أثناء تجهيز معبر "أبو الزندين" الواصل مع مناطق سيطرة النظام السوري – ريف حلب 18 من آذار 2019 (عنب بلدي)

"دويلتان" في الشمال ترسمهما "مصالح ضيقة"

على خط فاصل بين منطقتين داخل حدود جغرافيا واحدة يُطلق عليها مسمّى "المناطق المحررة"، قُتلت فاطمة الحميد في أثناء محاولتها نقل بضعة ليترات من مازوت التدفئة تدرأ بها برد الشتاء عن أطفالها وتوفّر بضعة قروش بفارق السعر بين المنطقتين.

أطلق عنصر من حرس معبر "أطمة- دير بلوط" رصاصة على رأس الشابة "عن طريق الخطأ"، بذريعة اشتباك مع "مهربين" ينقلون مواد يمُنع استيرادها من مناطق سيطرة "الحكومة السورية المؤقتة" في ريف حلب إلى مناطق سيطرة حكومة "الإنقاذ" في إدلب.

إلا أن الأشخاص الذين اتهمتهم إدارة المعبر بالتهريب هم من أهالي منطقة أطمة التي تدخل ضمن الحدود الخاضعة لنفوذ "الإنقاذ"، والذين يعانون من تبعات الوضع المعيشي المتردي، والقرارات الاقتصادية التي تدير بها الحكومة المنطقة، ما يدفعهم للبحث عن سبل لمواجهة هذا الوضع، ومنها كسر ما تحظره "الإنقاذ"، بنقل البضائع إلى مناطق سيطرتها.

منذ عام 2017، تحوّل الشمال السوري الذي تسيطر عليه فصائل المعارضة التي خرجت ضد النظام السوري إلى شبه دويلتين، مع سيطرة حكومة "الإنقاذ" على مدينة إدلب، و"الحكومة المؤقتة" على ريف حلب.

هذه السيطرة فرضت وجود حدود داخلية، تنتشر بينها نقاط مرور للبضائع والأشخاص، تتبع لقرارات اقتصادية وعسكرية تحدد شكل التنقل بين المنطقتين، كما تحدد شروط التنقل إلى المناطق الأخرى في سوريا التي تسيطر عليها "الإدارة الذاتية" في المنطقة الشمالية الشرقية، وحكومة النظام في المناطق المتبقية.

حادثة مقتل فاطمة الحميد (28 عامًا) خلال ما وُصف بالاشتباكات مع مهربين، تسلّط الضوء على قضية الحدود الفاصلة بين مناطق سيطرة المعارضة في الشمال السوري، والتي حوّلت المنطقة إلى "شبه دويلتين" لكل واحدة قراراتها الاقتصادية.

في هذا الملف، تحاول عنب بلدي توجيه الأنظار إلى حالة الانقسام الخدمي والمؤسساتي التي تعيشها المنطقتان، وغياب التنسيق بين "المؤقتة" و"الإنقاذ"، وأثر ذلك على سكان المنطقة.

شاحنات تحمل مساعدات إنسانية مقدمة من برنامج الغذاء العالمي إلى الشمال السوري– 9 من كانون الأول 2021 (عز الدين القاسم/تويتر)

من وجهة نظر الأهالي..

القرارات لخدمة مَن؟

تعرّف أنظمة الجمارك التهريب بأنه إدخال أو محاولة إدخال بضائع إلى البلاد أو إخراجها أو محاولة إخراجها بصفة غير قانونية أو بطريقة الغش. ويكون ذلك عبر الحدود الإقليمية للدولة التي تعد وسيلة للمحافظة على ثرواتها ومراقبة حركة البضائع والأشخاص من وإلى كل دولة، ما يدفع الحكومة إلى فرض رقابة على حدودها.
وفي الحالة السورية، يجري "التهريب"، كما تصفه سلطات الأمر الواقع، عبر حدود إدارية داخلية رسمتها المتغيرات العسكرية والسياسية في المنطقة، وتديرها حكومتا أمر واقع بجناحيهما العسكريين، "الجيش الوطني" و"هيئة تحرير الشام".
وتدير الحكومتان مناطق سيطرتهما اقتصاديًا بأنظمة وقرارات متقاربة في الجزئية المتعلقة بالتعامل اقتصاديًا وتجاريًا مع الجارة التركية لكن دون تنسيق فيما بينهما، وتختلفان في تسمية هذه المناطق، إذ تعتبر "الإنقاذ" المناطق "المحررة" هي المناطق الخاضعة لنفوذها في إدلب وأجزاء من ريف حلب الغربي وأجزاء من ريف اللاذقية وسهل الغاب شمال غربي حماة.
بينما تطلق "المؤقتة" تسمية المناطق "المحررة" على مناطق العمليات العسكرية بالتعاون مع تركيا، وهي "غصن الزيتون" و"درع الفرات" و"نبع السلام".

حوادث متكررة

لم تكن حادثة مقتل الشابة فاطمة بذريعة "التهريب" والاحتجاجات التي تبعتها ضد "الهيئة" لاحقًا اعتراضًا على سياستها الاقتصادية في المنطقة الحادثة الوحيدة التي أضاءت على مسألة تعامل "الهيئة" مع التهريب من مناطق سيطرة "المؤقتة" إلى مناطق سيطرة "الإنقاذ".
سبق هذه الحادثة إغلاق "الهيئة" معبر "الغزاوية" بوجه شحنات المحروقات بين مناطق شمالي حلب الخاضعة لنفوذ "الجيش الوطني" المدعوم تركيًا، ومحافظة إدلب وريف حلب الغربي الخاضعين لسيطرة "الهيئة"، ما أدى إلى إيقاف "حرّاقات ترحين" عملها في تشرين الأول 2021.
هذه الخطوة اعتبرها حسن غانم، وهو مالك إحدى "الحرّاقات"، محاولة من "الهيئة" لإقصاء منافسيها في المجال، وإرغام المدنيين في مناطق نفوذها على شراء المحروقات الأوروبية التي استوردتها عبر تركيا، وذلك بإيقاف دخول المحروقات المكررة التي تعتبر مرغوبة بالنسبة للسكان بسبب انخفاض سعرها.
وللمنتجات الزراعية أيضًا نصيب من قرارات "الهيئة" التي منعت، في آب 2021، دخول السيارات المحملة بمحصول الفليفلة، على حاجز "دير بلوط" الواصل بين إدلب وريفي حلب الشمالي والغربي، لتسمح في وقت لاحق لأصحاب السيارات بإدخال الفليفلة مع وضع رسم عشرة دولارات على كل طن، ما يزيد بدوره الأسعار على المستهلكين.
في أيلول 2021، واجهت "الهيئة" إدانات وغضبًا من الأهالي، لاحتجازها ثلاثة أطفال بتهمة تهريب السجائر تحت ملابسهم، في إحدى نقاط التفتيش بقرية أطمة بريف إدلب الشمالي، وتصويرهم، في وقت تتحدث فيه تقارير اقتصادية عن معاناة عدد غير مسبوق من الأطفال في سوريا من ارتفاع معدلات سوء التغذية، بسبب الأوضاع الاقتصادية المتردية.
وبحسب معلومات حصلت عليها "الشبكة السورية لحقوق الإنسان"، فإن اثنين من الأطفال هما شقيقان يتيمان والثالث معيل لأسرته، وهم من أبناء قرية جوزف جنوبي إدلب.
ومع انتشار أزمة السكر في إدلب، خلال الأسابيع القليلة الماضية، وتأخر وصول الإمدادات وارتفاع سعره وفقدانه من السوق، ضجّت وسائل التواصل الاجتماعي بصور لمدنيين ينقلون السكر على دراجاتهم الآلية بين الأراضي الزراعية من "دولة الجيش الوطني إلى دولة تحرير الشام"، بحسب تعليقات مواطنين على هذه الصور.
وكان معبر "دير بلوط" الذي تديره حكومة "الإنقاذ" وضع، في 9 من آذار الحالي، ضريبة عشرة دولارات أيضًا على كل طن سكر يدخل من منطقة عفرين إلى إدلب، وسمح للمدنيين بإدخال خمسة كيلوغرامات فقط.

الشعب متضرر والتاجر مستفيد

عنب بلدي أجرت استطلاعًا مصورًا في إدلب لآراء مجموعة من الأهالي في الشمال السوري، واعتبر بعض الأشخاص المستطلعة آراؤهم أن الشعب هو المتضرر من قرارات "سلطات الأمر الواقع"، بينما يستفيد التجار من تلك القرارات في الوقت نفسه.
وتتلخص سبل التخلص من الآثار السلبية لتلك القرارات، بإزالة المعابر الفاصلة بين "المناطق المحررة" والتي تقلّص الحركة التجارية وعبور السلع بالاتجاهين، إلى جانب إلغاء الضرائب المفروضة على السلع، والتي يستعملها التجار كذريعة للتحكم بالأسعار.
أحد الأشخاص في الاستطلاع بدا مترددًا عند سؤاله عن الجهة المستفيدة من تلك القرارات برأيه، بينما اعتبر شاب آخر أن "سلطات الأمر الواقع" هي الجهة المستفيدة مما تصدره من قرارات، خاصة المتعلقة بالاقتصاد وحركة المعابر، لافتًا في الوقت نفسه، إلى أن الشمال السوري "منطقة محررة، لا منطقة مرتهنة لأشخاص يستعبدون الناس".
ووفق استطلاع آخر أجرته عنب بلدي في ريف حلب، انسجمت آراء الأشخاص الذين شملهم الاستطلاع مع وجهات نظر الأهالي في إدلب، إذ اعتبروا أن المستفيد من الانقسام بالمقام الأول هم التجار، ومن يقومون بعمليات نقل وتهريب البضائع بين المنطقتين.
وتسعى كل منطقة لإنشاء دولتها الخاصة ومنطقة نفوذها، وينطوي ذلك على حصر المخاوف الأمنية.

ولفت الأهالي إلى غياب التفاهم بين الجانبين فيما يتعلق بمسألة الأوراق الثبوتية، ما ينعكس سلبًا على مصالح الناس، في إشارة إلى مسألة تنمير السيارات (منع دخول سيارة ذات نمرة من منطقة أخرى إلى المنطقة)، وعدم الاعتراف بالهويات الصادرة عن المجالس المحلية بريف حلب في مناطق سيطرة "الإنقاذ"، معتبرين أن النظام هو المستفيد من تلك العراقيل، بينما اعتبر آخرون أن ما يجري في الشمال انعكاس لغياب التفاهمات الإقليمية بين الدول المؤثرة في الشأن السوري.
وحول سبل رأب الصدع بين المنطقتين، يرى الأهالي أن توحيد "المنطقة المحررة" تحت قيادة وإدارة واحدة، هو السبيل الأمثل لتحويل الشمال إلى "دولة واحدة" لا "دول متعددة"، بينما اعتبر أحد الأشخاص المستطلعة آراؤهم أن الحل لا يكون إلا بمحو "الدولتين" أو دمجهما.

> يوجد أطراف لها أهداف في تكريس وتثبيت واقع عدم الاتفاق بين الحكومتين على ما هو عليه بما يخدم مصالحها

"الإنقاذ" تمنع و"المؤقتة" تسمح

لا رابط مشتركًا بين الحكومتين

تمنع "تحرير الشام" إدخال العديد من المواد الغذائية كالخضار والفواكه، وبشكل قطعي المحروقات، من مناطق سيطرة "الجيش الوطني"، بحجة أن تلك المناطق كانت تمتهن "التهريب والغش" في مادة المازوت، ما يعود بالضرر الكبير على المستفيدين من المادة من عموم أهالي الشمال الخاضع لنفوذ "الهيئة".

ويؤدي ذلك إلى غياب المنافسة، واحتكار بعض الشركات التجارية التي تُتهم بالتبعية لـ"الهيئة" المحروقات وتجارة المواد الأخرى، ما يؤدي إلى تحديد أسعار معيّنة لا يمكن كسرها.

بينما لا تعترف "الحكومة المؤقتة" بالمعابر بين مناطق سيطرتها ومناطق إدلب، ولا توجد مشكلة مع المواطن بغض النظر عن مكان إقامته في الشمال، بحسب ما جاء على لسان وزير اقتصادها، عبد الحكيم المصري.

وقال المصري، في حديث إلى عنب بلدي، إن "الطرف الآخر" يمنع إدخال بعض المواد من مناطق ريف حلب إلى مناطق سيطرته، كما يمنع إخراج بعض المواد من مناطق سيطرته إلى ريف حلب، مؤكدًا عدم وجود أي تنسيق بين "المؤقتة" و"الإنقاذ" على الإطلاق في أي مجال.

لكن، وبشكل غير مباشر، عندما تضع "المؤقتة"، على سبيل المثال، رسوم الاستيراد والتصدير، تطلّع "الإنقاذ" عليها وتأخذها مثالًا لتضع رسومها بشكل يتناسب معها حتى لا يكون الفارق كبيرًا.

وأرجع المصري غياب التنسيق إلى عدم وجود "شيء مشترك يجمعهما (الحكومتان) يفرض التنسيق"، بحسب تعبيره، دون ذكر تفاصيل إضافية حول أسباب غياب التنسيق بين الحكومتين.

ولمناقشة مسألة التنسيق وأثرها على الأهالي في المنطقة، تواصلت عنب بلدي مع حكومة "الإنقاذ" لكنها لم تحصل على رد حتى ساعة إعداد هذا الملف.

في استطلاع للرأي أجرته عنب بلدي عبر موقعها الإلكتروني، اعتبر 57% من المشاركين البالغ عددهم 166 شخصًا، أن سلطات الأمر الواقع هي المستفيدة من تحقيق انقسام مؤسساتي بين منطقتي إدلب وريف حلب، بينما يرى 43% من المشاركين أن دولًا مؤثرة في الملف السوري هي المستفيدة من هذا الانقسام.

المستفيدون أفراد أو كيانات

يثير غياب التنسيق هذا التساؤلات حول أسبابه ومصالح الحكومتين في تعزيز الانقسام المؤسساتي بمختلف القطاعات بينهما، الذي ينعكس على المواطنين المقيمين في المنطقة.

الباحث في الاقتصاد والدكتور في العلوم المالية والمصرفية فراس شعبو، أكّد لعنب بلدي وجود أطراف لها أهداف في تكريس وتثبيت واقع عدم الاتفاق بين الحكومتين على ما هو عليه بما يخدم مصالحها.

إذ تترافق دومًا فترات الأزمات والاستقرار مع وجود بعض المستفيدين منها، سواء من الأفراد أو الكيانات أو "الميليشيات" المسيطرة على المنطقة.

وحول المعابر الموجودة بين مناطق سيطرة "الإنقاذ" و"المؤقتة"، أوضح شعبو أن هذه المعابر تدرّ أموالًا بقيمة ملايين الدولارات يوميًا، وبهذا يحصل من يديرها على أموال طائلة جراء وجودها، مشيرًا إلى أن استمرارها قد يكون مفيدًا لأشخاص أو كيانات بعينها فقط، وليس للمجتمع أو لاقتصاد المنطقتين.

"مكاتب لتيسير الأعمال"

ويرى شعبو أن سبب غياب التنسيق بين حكومتي "الإنقاذ" و"المؤقتة" يعود إلى صراع "أيديولوجي" أكثر من كونه صراعًا اقتصاديًا ناتجًا عن عدم تقبل أحدهم للآخر لكنه يملك انعكاسات اقتصادية.

وأضاف شعبو أن كلتا الحكومتين لا تملك مؤسسات فاعلة بالأصل في مختلف القطاعات، معتبرًا أنهما ليستا سوى "مكاتب لتيسير الأعمال" مهمتها تنفيذية، في ظل غياب أي سلطة تخطيطية لكل منهما.

وتغلب على العلاقة بين الحكومتين "الشخصنة" و"المصالح الفردية" بعيدًا عن مصالح المواطنين والقطاع العام، بحسب شعبو، لافتًا إلى أن من الممكن أن يعود سبب الصراع بين الطرفين إلى صراع أطراف دولية مُتحكمة بكل طرف.

عناصر من "هيئة تحرير الشام" أثناء تفتيش السيارات في معبر "دارة عزة_ الغزاوية" (وكالة إباء)

الكيانات خلقت الانقسامات

تتعدد الجهات والكيانات السياسية والعسكرية التي تمسك بزمام الأمور في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام السوري بشمال غربي سوريا، بما يجعلها سلطات أمر واقع تفصلها "الحدود" الفاصلة بينها، ولم تنخرط في تفاهمات تنظم آلية العمل والحركة بين منطقتين جارتين، هما إدلب وريف حلب.

حكومتان و"جيش" و"هيئة"، ورايات عسكرية مختلفة الشعارات والألوان والأيديولوجيا والتبعية، ومجالس محلية، يشكّل هذا الخليط واقع الشمال الذي يعاني رغم "زحمة المسؤولين"، واقعًا اقتصاديًا وأمنيًا واجتماعيًا غير مستقر.

وفي 2 من تشرين الثاني 2017، شُكّلت حكومة "الإنقاذ"، لتبسط بعد عام ونصف من تأسيسها نفوذها الإداري وسيطرتها على مفاصل الحياة في محافظة إدلب وريف حماة الشمالي، وجزء من ريف حلب الغربي، إثر اتفاق بين "هيئة تحرير الشام" و"الجبهة الوطنية للتحرير"، نص على جعل المنطقة كاملة تابعة لـ"الإنقاذ".

"الحكومة" المكوّنة من 11 حقيبة وزارية، نشأت في ظل تعقيدات وتجاذبات داخلية، وحضور دولي لإدلب في خطابات سياسية دولية يشي تضاربها بعدم استقرار المنطقة، إلى جانب سيطرة "تحرير الشام" عليها بشكل غير مباشر.

وأمام الحاجة إلى هيئة مدنية تدير المنطقة، شُكّلت "الحكومة" بيد عسكرية من قبل قائد "هيئة تحرير الشام"، "أبو محمد الجولاني"، لبسط سلطة "الهيئة" على المنطقة بشكل مقنّع.

وسلّمت "الإدارة المدنية للخدمات" التابعة لـ"الهيئة" مؤسساتها الخدمية لـ"الإنقاذ" من مياه وكهرباء ومواصلات وغيرها.

وبدأت "الإنقاذ" منذ تأسيسها بفرض سيطرتها، فوجهت، في 12 من كانون الأول 2017، إنذارًا لـ"الحكومة السورية المؤقتة" يقضي بإمهالها 72 ساعة لإغلاق مكاتبها في محافظة إدلب شمالي سوريا والخروج من المنطقة.

واستجابت الأخيرة بنقل نشاطاتها، وآخرها، في 22 من كانون الأول من العام نفسه، عندما نقلت مقر جامعة "حلب الحرة" من مدينة إدلب إلى ريف حلب الغربي، على خلفية تعيين "الإنقاذ" رئيسًا جديدًا للجامعة.

وفي ظل اتهامات لـ"الإنقاذ" بتبعيتها لـ"هيئة تحرير الشام"، اعتمدت بشكل مفاجئ وبعيدًا عن التوقعات، وبموجب قرار صادر عن "الهيئة التأسيسية"، علمًا جديدًا لإدلب، من أربعة ألوان، يمزج بين علم الثورة السورية والراية الإسلامية، ما قوبل بردود فعل غاضبة اعتبرت تلك الخطوة محاولة لطمس معالم الثورة وعلمها، بينما اعتبرتها شخصيات من داخل "الهيئة" تراجعًا عن المبادئ الإسلامية.

وفي ذكرى تأسيسها الرابعة، في 28 من كانون الثاني 2020، ذكرت "تحرير الشام"، في إصدار مصوّر، أن عددًا من "النخب" في شمال غربي سوريا بادروا لتشكيل حكومة مدنية "ترتب أوراق الشمال المحرر، وتقدم ما تستطيع للمدنيين"، تمخضت عنها حكومة "الإنقاذ" التي دخلت دورتها الخامسة.

وجاء في الإصدار أن "تحرير الشام" تدعم بشكل كامل حكومة "الإنقاذ"، لما تقدمه من خدمات مدنية.

وقبل ظهور "الإنقاذ"، كانت إدلب ضمن سيطرة "الحكومة السورية المؤقتة"، التي شُكّلت بعد نحو عامين من اندلاع الثورة السورية، وتحديدًا في آذار من عام 2013، بدعم من "الائتلاف الوطني المعارض" بشكل رئيس، إلى جانب معارضين آخرين.

وبدأت أولى تشكيلات "الحكومة" برئاسة غسان هيتو، واقتصر دعمها آنذاك على "المنتدى السوري للأعمال" ورئيسه مصطفى الصباغ، الأمين العام الأسبق لـ"الائتلاف".

وتغيرت تلك المعطيات في أيلول من العام ذاته، حين تغيرت تشكيلتها وترأسها أحمد طعمة حتى أيار 2016، ثم ترأسها جواد أبو حطب، في الفترة الممتدة بين أيار 2016 وآذار 2019.

ويتولى عبد الرحمن مصطفى رئاسة "الحكومة السورية المؤقتة"، منذ حزيران 2019 وحتى تاريخ إعداد هذا الملف.

ولـ"الحكومة المؤقتة" جناح عسكري يتمثل بـ "الجيش الوطني" الذي أُعلن تشكيله في تشرين الأول 2019، بمدينة شانلي أورفة جنوبي تركيا، من قبل مجموعة قادة عسكريين في المعارضة السورية، بقيادة وزير الدفاع في "الحكومة السورية المؤقتة"، ورئيس هيئة الأركان حينها، سليم إدريس.

ويضم هذا "الجيش" المدعوم من تركيا كلًا من "الجيش الوطني" الذي شُكّل في كانون الأول 2017، من ثلاثة فيالق يضم كل منها مجموعة فرق وألوية، إلى جانب "الجبهة الوطنية للتحرير"، وهي تجمع 11 فصيلًا من "الجيش الحر" بمحافظة إدلب، في أيار 2018.

وأمام واقع تتعدد به وتتنوع الإدارات المدنية والعسكرية، ينعكس هذا التنوع على المناخ الاجتماعي، فيخلق أنماطًا مختلفة للحياة، قد تتنافر ضمن رقعة جغرافية واحدة حوّلتها التقسيمات إلى منطقتين.

حدود داخلية ونقاط عبور تجارية

كيف يرتبط "المحرر" مع جيرانه

لافتة طرقية تدل على مدينة دارة عزة وعفرين بريف حلب – 12 حزيران 2017 (عنب بلدي)

تربط بين مناطق سيطرة فصائل المعارضة ومناطق سيطرة النظام معابر داخلية مختلفة، كما تربط بين مناطق سيطرة المعارضة نفسها معابر داخلية أيضًا.

معابر بين "الإنقاذ" و"المؤقتة"

يربط بين المنطقتين معبران داخليان، هما معبر "دارة عزة- الغزاوية" والمعروف أيضًا بـ"طريق دارة عزة"، الذي يصل مدينة دارة عزة في ريف حلب الغربي بمنطقة عفرين في ريف حلب الشرقي.

وتقع قرية الغزاوية شمالي دارة عزة، وفيها المعبر الفاصل، ويقع شمالي دارة عزة بمنطقة دير سمعان الأثرية، وهي منطقة أيضًا مرتفعة تشرف على طريق عفرين وعلى ريف حلب الغربي.

المعبر الثاني هو "دير بلوط- أطمة" الذي يصل ريف إدلب الشمالي بريفي حلب الشمالي والغربي.

ويقع المعبر على الطريق الواصل بين قرية دير بلوط ومنطقة أطمة شمالي إدلب التابعة لـ"الإنقاذ"، وتشرف على المعبرين قوات تتبع لـ"تحرير الشام" و"جهاز الأمن العام" العامل في إدلب، الذي ينفي صلته بها.

وتعد هذه المعابر الداخلية على درجة عالية من الأهمية فيما يخص السماح بدخول البضائع التجارية وخروجها، وفيما يتعلق بحركة المدنيين وغيرها من الإجراءات الأخرى.

وأحكمت "تحرير الشام" سيطرتها على المعابر الواصلة مع مناطق "الجيش الوطني" في أثناء العمل العسكري الذي بدأته ضد "حركة نور الدين الزنكي"، مطلع عام 2019، وتمكّنت فيه من السيطرة على كامل الريف الغربي لحلب.

وتكرر إغلاق "تحرير الشام" المعابر مع مناطق سيطرة "الجيش الوطني" لعدة أسباب، أبرزها التخوف من مرور خلايا تتبع لتنظيم "الدولة" إلى المناطق التي تسيطر عليها، ووصول تسريبات "بتدفق دفعات من عناصر التنظيم متوجهة إلى إدلب من مناطق (قسد) ومنها حتى تصل إلى إدلب"، وأسباب أخرى كإجراءات تنظيمية لضبط حركة العبور وتأمين الطريق، وتفشي فيروس "كورونا المستجد" (كوفيد- 19)، بحسب "الهيئة".

معابر بين "المؤقتة" والنظام

يعتبر معبر "أبو الزندين" الواقع شرقي مدينة الباب بريف حلب الشرقي، معبرًا تجاريًا وإنسانيًا يفصل مناطق سيطرة "المؤقتة" عن مناطق النظام السوري.

ويربط معبر "أبو الزندين" بين مدينة الباب وشرقي مدينة حلب الخاضعة لسيطرة النظام، ويقع بالقرب من قرية الشماوية، التي تخضع لسيطرة النظام.

ويعتبر من مناطق التماس بين "الجيش الوطني" والجهات المسيطرة على شرق الفرات المتمثلة بالنظام و"قسد"، ويشهد مناوشات عسكرية واشتباكات بين الحين والآخر، ما يتسبّب بتوتر الأوضاع الأمنية في المنطقة.

"أبو الزندين" هو المعبر الأول الذي افتتح بين مناطق ريف حلب الشمالي والشرقي، الخاضعة للإدارة التركية ومناطق النظام، وأُجريت من خلاله عدة عمليات لتبادل الأسرى بين "الجيش الوطني" وقوات النظام، برعاية تركية- روسية وبإشراف الأمم المتحدة و"الصليب الأحمر الدولي".

معابر بين "المؤقتة" و"قسد"

وترتبط مناطق سيطرة "قسد" التي تشكّل الجناح العسكري لـ"الإدارة الذاتية" في شمال شرقي سوريا مع مناطق سيطرة "الجيش الوطني" بعدة معابر هي: معبر "الحمران"، وهو معبر تجاري يقع بالقرب من مدينة جرابلس، ويصل ريف حلب الشمالي بمدينة منبج في الريف الشرقي، ويُستخدم المعبر لنقل البضائع فقط، ويديره فصيل "الجبهة الشامية" التابع لـ"الجيش الوطني".

وكذلك معبر "عون الدادات"، وهو معبر تجاري يقع في ريف مدينة جرابلس الجنوبي، يفصل بين مناطق سيطرة "المؤقتة" ومناطق سيطرة "قسد"، بالإضافة إلى معبر "الحلونجي" الإنساني ويبعد عن معبر "عون الدادات" نحو سبعة كيلومترات، ويقع بريف جرابلس الجنوبي.

وتخضع هذه المعابر لسيطرة "الجيش الوطني" سواء مع النظام أو مع "قسد"، وهي مغلقة أمام الحركة التجارية والمدنيين، ويُتهم "الجيش الوطني" بتمرير وتهريب بعض المواد والأشخاص من خلالها مقابل الحصول على مبالغ، لكنه ينفي ذلك.

بين "الإنقاذ" والنظام

ترتبط مناطق سيطرة حكومة "الإنقاذ" التي تشمل محافظة إدلب وجزءًا من ريف حلب الغربي وريف اللاذقية وسهل الغاب، شمال غربي حماة، بمناطق سيطرة النظام السوري من خلال معبر "ميزناز- معارة النعسان" بين بلدة معارة النعسان بريف إدلب الشرقي.

وتقع بلدة معارة النعسان تحت سيطرة "تحرير الشام" عسكريًا، في حين تسيطر قوات النظام على بلدة ميزناز غربي حلب.

المعبر مغلق لكنه يُستخدم لإدخال المساعدات الإغاثية من الأمم المتحدة، تحت مسمى "المساعدات عبر الخطوط"، القادمة من مستودعاتها في مناطق سيطرة النظام.

ويربط المعبر الثاني وهو معبر "ترنبة- سراقب" في ريف إدلب الشرقي مناطق سيطرتهما أيضًا، وتعتبر ترنبة آخر نقاط سيطرة قوات النظام، والنيرب أولى مناطق سيطرة المعارضة شرقي إدلب، وتقعان بالقرب الطريق الدولي حلب- اللاذقية (M4).

وهذان المعبران مغلقان، وتُتهم "تحرير الشام" وفصائل منضوية تحتها بعمليات تهريب مدنيين تحت مسمى "خط عسكري"، إلا أنها تنفي ذلك.

إذا أُهملت السياسة.. مَن المستفيد؟

دائمًا يترافق الحديث عن فتح المعابر الداخلية، التي تربط بين مناطق سيطرة فصائل المعارضة السورية في الشمال ومناطق نفوذ النظام، مع غضب واستياء شعبي ورفض لهذه الخطوة، لأن فتح المعابر بحسب ما يراه البعض يعني التعامل مع النظام سياسيًا، وتنشيط اقتصاده، إلا أن للأمر جانبًا قد يفيد الشمال السوري اقتصاديًا.

أشار الباحث في الاقتصاد والدكتور في العلوم المالية والمصرفية فراس شعبو، في حديثه لعنب بلدي، إلى وجود عمليات دخول للبضائع لكن بشكل غير شرعي وغير رسمي بين جميع المعابر الداخلية رغم نفي الجهات الرسمية، والمستفيد هو من يدير هذه المعابر لأنها تدرّ أرقامًا "خيالية"، وفتح هذه المعابر سيصب في مصلحته أيضًا.

وكانت "تحرير الشام" حاولت في عام 2020 فتح معبر "ميزناز" لعبور القوافل التجارية بينها وبين النظام لكنها لم تنجح، بعد أن واجهت غضبًا شعبيًا واحتجاجات ومظاهرات شهدتها المنطقة القريبة من المعبر.

كما تتراشق فصائل "الجيش الوطني" التهم فيما بينها بفتح المعابر لتمرير سيارات وشاحنات تحمل مواد غذائية ومحروقات إلى مناطق سيطرة النظام و"قسد"، يقابلها نفي الفصائل القيام بأي عملية فتح أو تمرير لمواد من تلك المعابر.

أوضح الدكتور شعبو أن فتح المعابر بين المعارضة والنظام له فوائده، فكل منطقة تمتلك بعض القدرات والميزات التنافسية والصناعية والإنتاجية والزراعية أو حتى على صعيد المحروقات.

ووجود معابر والتبادل التجاري من خلالها يخفف حدة الاختناق الاقتصادي الحاصل، بحسب شعبو الذي رجّح فرض إتاوات أو ضرائب وجمركة كما يشاع على عمليات النقل، وبالتالي ستكون مصدر دخل لكلا الطرفين.

تبادل موارد وانتعاش اقتصادي

فتح المعابر وتبادل المنتجات بين هذه المناطق يسهم في إنعاش الحالة الاقتصادية، بحسب شعبو، الذي أوضح أن عرف التجارة يقضي بأن تأمين أسواق للتبادل التجاري وأسواق للحصول على الموارد الأولية يسهم في انتعاش اقتصادي.

فمناطق سيطرة "قسد" تتميز نوعًا ما بتوفر القمح والمحروقات، ومناطق سيطرة المعارضة تتوفر فيها المنتجات والسلع الغذائية والمهنية واليدوية ومختلف البضائع المستوردة، ومناطق سيطرة النظام قد تتوفر فيها بعض المنتجات الصناعية والإنتاجية.

الباحث شعبو أوضح أن الانتعاش الاقتصادي ينعكس على تنمية المشاريع الصغيرة وتحسين دخل المواطنين وإيجاد فرص عمل، وبالتالي تخفيف حدة الواقع الاقتصادي "المزري"، ويسهم نوعًا ما في الحد من ارتفاع الأسعار المبالغ فيه بهذه المناطق، نتيجة عدم توفر المواد بشكل أساسي

وجود معابر هو حالة صحية وطبيعية لتنشيط الحالة الاقتصادية لجميع الأطراف، بحسب شعبو، وما يعيشه المواطن السوري بحاجة إلى تهدئة، حتى الأمم المتحدة مؤخرًا تحدثت عن إعادة مناقشة العقوبات على سوريا، بسبب الوضع الاقتصادي الذي يعيشه المواطنون في الداخل السوري.

ويعاني السكان في مختلف المناطق السورية تردي الأحوال المعيشية، وسوء الأوضاع الاقتصادية، وارتفاعًا في الأسعار مع غياب القدرة على ضبطها في ظل انخفاض القدرة الشرائية للمواطنين، وتدني مستوى الدخل والأجور.

انتعاش للنظام وتوريد قطع أجنبي

الجوانب الإيجابية لفتح المعابر بين النظام والمعارضة، لا تنفي وجود جوانب سلبية، لخّصها شعبو من خلال استفادة النظام من هذه الموارد، كونه يتعرض لضغوط اقتصادية كبيرة، وفتح أي معبر يصب في مصلحته.

الدكتور شعبو يرى أن فتح المعابر يسهم في تعزيز قدرة النظام على تمويل عملياته من القطع الأجنبي، إذ يستطيع استخدام الدولار الموجود في مناطق المعارضة، وسيتعامل بالليرة في مناطق سيطرته.

وزير الاقتصاد في "الحكومة المؤقتة"، عبد الحكيم المصري، أوضح لعنب بلدي في حديث سابق أن فتح المعابر مع النظام سيتيح له سحب الدولار من مناطق الشمال بكل الوسائل والطرق لكن عن طريق أشخاص محددين، إذ يوجد تجار تابعون له يمكن أن يشتروا الدولار بأي سعر، ما سيؤدي إلى استنزاف الدولار.

وسيعمل النظام على إدخال الدولار المجمّد إلى الشمال، وهو أوراق نقدية طُبعت بشكل رسمي لكن أرقامها التسلسلية عُطّلت وجُمّدت أرصدتها في المصارف الواقعة بمناطق الحروب أو بسبب السرقات، وتُعرض هذه الأوراق بأسعار تتراوح بين نصف وثلثي قيمتها الحقيقية، ولا يمكن تمييزها إلا من قبل المؤسسات المالية الرسمية، بحسب المصري.

ما الخطر من فتح المعابر مع النظام؟

خطورة فتح المعابر مع مناطق سيطرة النظام تكمن في إدخال المخدرات إلى الشمال السوري، إذ أجرى النظام عمليات تهريب المخدرات إلى دول لديها إمكانيات هائلة بكشف التهريب، لذلك بحسب المصري، لن يتوانى النظام عن إدخالها إلى مناطق الشمال في ظل الإمكانات المحدودة بكشف المخدرات المخبّأة بطرق كثيرة.

ومنذ عام 2011، صارت سوريا سوقًا رئيسة أو بلد عبور ومشتبهًا به للأنشطة المتعلقة بتجارة المخدرات حول العالم، من خلال الطرق البرية أو البحرية أو حتى الجوية.

كما تعتبر سوريا دولة مخدرات، لاحتوائها على نوعين أساسيين من المخدرات، هما "الحشيش" و"الكبتاجون"، وتلك الأنشطة تشمل إنتاج وتوزيع وتصدير المواد المخدرة، كما يستخدم النظام المعابر الحدودية التي يسيطر عليها وسيلة لتمرير صفقات تهريب "الحبوب المخدرة" إلى دول أخرى عن طريقه.

الوزير المصري أشار إلى أن فتح المعابر سيعطي النظام فرصة تصدير البضائع الفائضة عن حاجته إلى مناطق الشمال، كالألبسة التي توجد معامل في الشمال لصناعتها، وبعض الخضار والفواكه التي يعاني المزارعون من صعوبة تصريفها، كما سيستفيد النظام أيضًا من الرسوم على السيارات، إذ يتقاضى رسمًا من جميع السيارات التي تدخل إلى مناطقه يصل إلى 8000 دولار بالنسبة إلى السيارات المحملة بالزيت، ورسمًا على السيارات الداخلة إلى الشمال.

تراشق اتهامات.. "تطبيع وخيانة"

تعرضت الفصائل في مناطق سيطرة المعارضة لانتقادات من إمكانية فتح المعابر سواء مع مناطق سيطرة النظام أو "قسد"، واتُهمت "تحرير الشام" بـ"الخيانة والتطبيع".

وجاءت هذه الاتهامات بسبب افتتاحها معابر تربطها مع النظام أمام شاحنات المساعدات الإغاثية والإنسانية التي رُفع عليها شعار برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة، وحمايتها قافلة المساعدات، وتخصيصها مركبات عسكرية وعددًا كبيرًا من العناصر لإيصالها إلى المستودعات المخصصة لها في إدلب.

كما تُتهم فصائل منضوية تحت راية "الجيش الوطني" بإدخال وإخراج المواد والمنتجات من وإلى مناطق النظام، واتهامات بتهريب عناصر متعاونين أو تابعين للنظام مقابل مبالغ من خلال معبر "أبو الزندين"، إلا أن الفصائل تنفي هذه التهم.

في حين يرى ناشطون في الشمال السوري أن فتح معابر مع مناطق سيطرة النظام سيشكّل متنفسًا اقتصاديًا له، كما سيؤدي إلى انتشار تجارة المخدرات في مناطق سيطرة المعارضة واختراقها أمنيًا.

وبرزت هذه المخاوف من خلال وسم أطلقه الناشطون في مواقع التواصل الاجتماعي في آذار 2021، كما اعتبر بعضهم أن فتح المعابر "خيانة لدماء الشهداء".

بعضها مسلوب أو بوثائق مزوّرة

سوريون مغتربون يشترون عقارات في الوطن

على الرغم من استمرار حالة عدم الاستقرار الأمني والاقتصادي، تبرز في الفترة الأخيرة ظاهرة شراء المغتربين من السوريين عقارات في مناطق سيطرة النظام. تحدثت عنب بلدي مع عدد من المغتربين الذين أقدموا على شراء عقارات في هذه المناطق، للتقصي عن الأسباب والدوافع التي شجعتهم، على الرغم من كل الصعوبات التي وضعها النظام في مجال الشراء من جهة، واستيلائه على أموال المعارضين له من جهة أخرى.

منطقة مشروع دمر قرب العاصمة دمشق (صفحة مشروع دمر الخدمية في فيسبوك)

عنب بلدي – ديانا رحيمة

ياسين، سوري مقيم في لبنان، يبلغ من العمر 49 عامًا، عمل خلال الفترة السابقة على شراء عقارات، تشمل منازل ومحال، من خلال شريك لديه في مدينة حلب .

"سوق العقارات مزدهر خلال هذه الفترة، خصوصًا أن بعض المالكين يقومون بالبيع لأسباب عديدة منها الهجرة"، قال ياسين، وعليه قام بشراء عقارات وتجميدها، بينما باع عقارات أخرى بأسعار مرتفعة، مع ارتفاع الطلب عليها، لوجود توجه لدى الناس في شراء الأراضي القريبة من مركز مدينة حلب، لإمكانية بناء "فيلات" مستقبلًا في ا لمنطقة .

ويرى ياسين (تحفظت عنب بلدي على ذكر اسمه الكامل لأسباب أمنية)، أن سوق عقارات المنازل يزدهر في الأحياء الغربية بشكل خاص، لأنها لم تتعرض للضرر، على عكس الأحياء الشرقية التي تعرضت لنسبة ضرر كبيرة.

من جهته، بدأ "إياد" (29 عامًا) المقيم في ألمانيا، استثماره في سوق العقارات، من خلال شرائه منزلين وبيعهما بمبلغ مرتفع، وحصوله على مردود مالي كبير.

"إياد" (اسم مستعار لأسباب أمنية) قال لعنب بلدي، إنه اشترى منزلًا في حي العزيزية بمبلغ 180 مليون ليرة سورية عام 2019، وبعد حوالي عام ونصف، قام ببيعه عن طريق وكيله بمبلغ 380 مليون ليرة سورية.

بينما ربح في المنزل الآخر نحو 75 مليون ليرة سورية، وهو يعمل حاليًا بتجارة العقارات في سوريا على الرغم من أنه مقيم في ألمانيا.

وأضاف أنه يقوم بتنسيق عمليات البيع والشراء للعقارات عن طريق وكيل، إلى جانب تعامله مع محامين، وكل العقود التي تجرى تأخذ طابعًا قانونيًا، وتُستكمل الإجراءات فيها بشكل اعتيادي، خوفًا من ملاحقته أو تعرضه للاعتقال في حال رغبته بالمجيء إلى سوريا في السنوات المقبلة.

وكان المحلل الاقتصادي محمد الجلالي قال، في 7 من شباط الماضي، لصحيفة "الوطن" المقربة من النظام السوري، إن النسبة الكبرى من مالكي العقارات في سوريا هي من المغتربين.

وأضاف الجلالي أن "معظم الذين يعرضون عقاراتهم للبيع حاليًا، يعرضونها بغاية السفر، وهذا الأمر ملموس وملاحَظ على صفحات تسويق العقارات، وهو مؤشر غير صحي".

ولا يؤثر قرار استبعاد من يملك أكثر من عقار في المحافظة نفسها، أو من يملك العقارات في المناطق الأغلى سعرًا من الدعم، لدرجة أن يقوم المواطنون ببيع عقاراتهم بهدف إعادة الدعم لهم، بحسب الجلالي.

وازداد منذ حوالي فترة الشهر المعروض من العقارات، لوجود حالة من الكساد والركود في بيع العقارات.

واعتبر المحلل أن زيادة العرض على الطلب حاليًا، هي أمر جيد للسوق لدورها بخفض الأسعار، ولكن انخفاض الأسعار في ظل حالة الكساد يعتبر انخفاضًا غير صحي، مستبعدًا أن تتحسن حركة بيع العقارات وشرائها في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة.

مصائب قوم..

ارتفاع أسعار العقارات بالليرة السورية له معنيان مختلفان تمامًا بين السوريين في داخل سوريا وخارجها، بحسب ما قاله الدكتور السوري في الاقتصاد ومدير الأبحاث في مركز "السياسات وبحوث العمليات"، كرم شعار، لعنب بلدي.

وأضاف شعار، أن أسعار العقارات تجاوزت مقدرة السوريين الذين ما زالوا في مناطق النظام على السداد، لأن الرواتب في مناطق النظام ما زالت بنفس القدر، والذي ازداد في مناطقه هو أسعار العقارات إلى جانب العديد من أبسط متطلبات الحياة اليومية، وبالتالي فإن الارتفاع في الأسعار هو ارتفاع حقيقي، يعوق مقدرتهم على شراء البيوت.

أما بالنسبة للسوريين المغتربين، فإن أسعار العقارات بسوريا انخفضت بشدة خلال فترة السنوات العشر السابقة.

وإذا تم حساب المبلغ بالدولار الأمريكي أو بأي عملة أجنبية، فإن السوريين الموجودين خارج سوريا، ولا سيما المؤمن منهم بأن المستقبل في سوريا هو للأحسن وليس للأسوأ، فإن الأسعار معقولة بالنسبة لهم.

كما أن الوضع الحالي هو أفضل وضع لشراء العقارات، لأنه في حال كانت الأمور متجهة للتحسن اقتصاديًا، فإن أسعار العقارات سترتفع لا محالة في سوريا، كما هي الحال بكل دول العالم.

وترتبط أسعار العقارات بالأداء الاقتصادي العام، ولهذا السبب فإن السوريين في الخارج هم الأعلى رغبة بشراء عقارات في الداخل.

أما السوريون الموجودون في مناطق النظام فهم الذين يقومون بالبيع، لأنهم يريدون السفر خارج البلاد.

ويظهر ذلك جليًا في عدد جوازات السفر المصدَرة بعد عام 2021، مقارنة بعام 2020، ما يعني أن الزيادة كانت "مرعبة" إذ تجاوزت حد الضعف، بحسب شعار.

ومنذ بداية تموز عام 2021 وحتى 20 من شباط الماضي، طبعت وزارة الداخلية 486 ألف جواز داخل سوريا، و86 ألف جواز في القنصليات خارج سوريا، و21 ألف وثيقة سفر للفلسطينيين السوريين، بحسب ما تحدث به مدير "إدارة الهجرة والجوازات"، خالد حديد.

رقابة أشمل.. فرض ضرائب أكثر

في آذار 2021، أصدرت رئاسة مجلس الوزراء القرار رقم "28"، الذي يقضي الالتزام بدفع مبلغ لا يقل عن خمسة ملايين ليرة سورية عبر القنوات المصرفية لعمليات بيع العقارات السكنية والتجارية والمركبات، ودفع مبلغ لا يقل عن مليون ليرة سورية عبر القنوات المصرفية لعمليات بيع وشراء الأراضي، بحسب ما نقلته وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا).

ويجب تجميد مبلغ 500 ألف ليرة سورية في الحسابات المستخدمة لعمليات البيوع المذكورة للعقارات السكنية والتجارية والأراضي والمركبات لمدة ثلاثة أشهر على الأقل، بحسب القرار.

بررت رئيسة قسم الدراسات والتشريعات لدى مديرية المفوضية الحكومية في المصارف، حنان عيلبوني، القرار الوزاري، بضرورة وجود حسابات مصرفية لأكبر عدد ممكن من الأشخاص، وصولًا إلى جميع الأشخاص، وذلك عن طريق عقود بيع العقارات والمركبات، واستقطاب السيولة من السوق إلى المصارف وتداولها هو عامل مهم.

وبحسب الإحصائيات، فإن قيمة الأموال الموجودة في المصارف لا تشكّل إلا نسبة ضئيلة جدًا من قيمة التداول في السوق، وقد يعتبر هذا "مرعبًا أو غير طبيعي".

بينما يعتقد الباحث شعار، أن الغرض الأساسي من القرار الوزاري هو دفع السوريين إلى استخدام النظام المصرفي في التعاملات المالية.

ويهدف هذا الضغط لتطبيق الضريبة التي أتت لاحقًا على البيوع العقارية إلى إجبار البائع والمشتري على التعامل من خلال النظام المصرفي الذي يحقق رقابة أقوى على عمليات البيع والشراء، وبالتالي مقدرة أفضل على فرض الضرائب.

هل من الآمن شراؤها؟

المحامي أحمد صوان قال لعنب بلدي، إن العديد من العقارات التي يتم بيعها اليوم للمغتربين من السوريين وغيرهم، هي مسلوبة من مالكيها الأصليين بإحدى الطرق الآتية، إما عن طريق سلبها من المغتربين المقيمين خارج سوريا، وإما عن طريق استخدام وثائق مزوّرة، عبر تزوير الوكالات، أو تزوير هويات المالكين الأصليين، الأمر الذي تكرر حدوثه بشكل كبير وخصوصًا في دمشق وحلب، وفي هذه الحالة يستطيع المغتربون المطالبة بأملاكهم مستقبلًا، لأنها سُلبت بطريقة التزوير.

كما توجد حالات معقّدة جدًا كحالة المالكين المتعاقبين، كأن يسجّل المزوّر وثائق العقار باسمه ثم يبيعه إلى شخص ثانٍ ثم إلى شخص ثالث، وبذلك تصبح هناك مشكلة في استعادة العقار، لأن المالك الثالث بحسب القانون هو "مالك حسن النية" (لا يعرف أن أصل العقار يعود إلى المالك الأصلي)، وذلك يخلق منازعات قضائية كثيرة، بحسب صوان.

أما الطريقة الثانية لسلب أملاك المالكين الأصليين، فهي الاستيلاء والمصادرة بتطبيق القوانين التي أصدرها النظام بعد عام 2011، التي أجازت لمحكمة "الإرهاب" أن تصادر الأموال، بإلقاء الحجز التنفيذي على أموال المعارضين، وتبيعها، وهذا البيع يعتبر من الجهة القانونية بيعًا سليمًا، لأنه يقوم على سند قانوني، وبناء على قرار محكمة.

ومنذ بداية عام 2011، أصدرت حكومة النظام السوري مجموعة من القوانين والمراسيم التشريعية المتعلقة بحقوق الملكية، كان لها تأثير على السوريين الموجودين داخل وخارج البلاد، كما شملت الحجز على الأموال المنقولة وغير المنقولة لمعارضين سياسيين أو متعاطفين مع الثورة السورية من فنانين ومثقفين وتجار، وُجهت إليهم تهم دعم ما يسمى بـ"الإرهاب".

وقد عمد النظام السوري إلى الحجز على أملاك وأموال شخصيات بارزة في المعارضة السورية، كأداة عقاب وانتقام، ففي عام 2012، أصدر النظام السوري حكمًا بالإعدام بحق فراس طلاس ابن وزير الدفاع الأسبق، وهو رجل أعمال، ومؤسس "تيار الوعد السوري" ورئيسه السابق.

وأرفق الحكم بقرار ينص على مصادرة جميع أملاكه، نشرته وسائل إعلام سورية، وفق ما أشار في حديث سابق إلى عنب بلدي.

نص قانون "مكافحة الإرهاب" رقم "19" لعام 2012، في المادة "12" منه على أنه، "في جميع الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون، تحكم المحكمة بحكم الإدانة بمصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة وعائداتها والأشياء التي استخدمت أو كانت معدة لاستخدامها في ارتكاب الجريمة، وتحكم بحل المنظمة الإرهابية في حال وجودها".

وسيط للتسهيل

فيما يتعلق بالطريقة الموثوقة لإجراء العقد نيابة عن المالك المغترب، يقوم وسيط بإجراء عقد الشراء نيابة عن الشخص المغترب أو يبيع العقار نيابة عنه، بحسب صوان.

ويعتبر العقد الذي يوقعه هذا الوسيط صحيحًا إذا تم بموجب وكالة رسمية موثقة بالقنصلية، أو عبر وكالة موثقة عند الكاتب العدل في الدولة الموجود فيها، كما يحدث في دول مثل مصر والأردن ولبنان وفي تركيا يسمى "النوتر".

إذا كان التوكيل موثقًا عند الكاتب العدل في الدولة الموجود فيها، يعتبر العقد صحيحًا ومنتجًا لآثاره القانونية.

ولا يستطيع المغترب في المستقبل أن يتنصل من هذا العقد، لأنه عقد موقع عبر وكالة، والوكالة تسمح للوسيط أن يبيع ويشتري ويوقع نيابة عن المالك.

وبلغ عدد عقود البيع المنفذة خلال الفترة بين أيار 2021 وشباط الماضي، 231 ألف عقد بمعدل نمو أسبوعي وصل إلى 4.5%، بينما بلغ المتوسط اليومي لعدد عقود البيع المنفذة في آخر أسبوع 2012 عقدًا، بحسب وزارة المالية.

وتصدّرت محافظة ريف دمشق عدد البيوع المنفذة بين المحافظات الواقعة تحت سيطرة النظام، بنسبة 25.4% من العدد الإجمالي للعقود المنفذة، تليها اللاذقية بنسبة 12.4%، ودمشق بنسبة 9.4%.

ووصلت القيمة الرائجة لعقود البيع المنفذة إلى 7770 مليار ليرة، بمعدل أسبوعي بنحو 3.8%، بينما وصل الوسطي اليومي للقيم الرائجة لعقود البيع المنفذة في آخر أسبوع إلى 56.5 مليار ليرة.

> العديد من العقارات التي يتم بيعها اليوم للمغتربين من السوريين وغيرهم، هي مسلوبة من مالكيها الأصليين بإحدى الطرق الآتية، إما عن طريق سلبها من المغتربين المقيمين خارج سوريا، وإما عن طريق استخدام وثائق مزوّرة، عبر تزوير الوكالات، أو تزوير هويات المالكين الأصليين

دولار أمريكي ▼ مبيع 2500 شراء 2425 | يورو ▲ مبيع 2812 شراء 2723 | ليرة تركية ▲ مبيع 364 شراء 352

الذهب 21 ▲ 121657 | الذهب 18 ▲ 104277 | المازوت = 180 | البنزين = 225 | الغاز = 2500 (للجرة) | السكر (ك) = 600 | الرز (ك) = 500

"الدولة" و"الإدارة" والرجل

نساء الرقة يصارعن أثر السلطات الثلاث

إمرأة سورية من مدينة الرقة – 2020 (gittyimage)

عنب بلدي – لجين مراد

"تعرضنا لظلم كبير خلال السنوات الماضية، وظلّت المرأة في الرقة محكومة بفكر الجهة المسيطرة، وخاضعة لسلطة الرجل وعادات المجتمع"، تصف رغد (30 عامًا) حياة نساء الرقة خلال السنوات الماضية.

بين ماضٍ حكمه تنظيم "الدولة الإسلامية"، وحاضر تتنازع على حكمه محاولة "الإدارة الذاتية" أدلجة المرأة، وقيود الأعراف والتقاليد العشائرية، تكافح نساء في الرقة للحفاظ على كينونتهن، وامتلاك حق اختيار طريقهن، دون أن تسيّرهن القبضة الحاكمة.

وتلعب السلطة الحاكمة دورًا كبيرًا في حماية وتمكين المرأة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، من خلال تشريع القوانين التي تحميها، ومنع التعدي عليها من قبل السلطة والمجتمع بأكمله، وفق ما قالته الباحثة الاجتماعية صبا عبد اللطيف لعنب بلدي.

"الأسود" يحكم المرأة

فرض التنظيم فكره "الأسود" على كل تفاصيل حياة المرأة في الرقة، وعمل على تنميط صورتها، مطلقًا أوصافًا "مهينة"، ليجعل حضورها مقتصرًا على متعة الرجل، بحسب تعبير النساء اللواتي تحدثت إليهن عنب بلدي.

"تحول السير في الشارع إلى رعب، وأمضيت معظم وقتي داخل المنزل، خوفًا من ارتكاب ما يعتبرونه (معصية)، أو أن أخرج إلى الشارع فأعجب نساءهم"، تتحدث رغد عن حياتها في ظل سيطرة التنظيم.

وأوضحت رغد أن الفتاة العزباء يمارَس عليها ضغط كبير، ويعتبر جمال جسدها أو وجهها تهمة تسقط عنها بالزواج من رجال التنظيم.

تعرضت رغد للعديد من الضغوطات لقبول طلب الزواج الذي عرضته نساء من أبناء الرقة باسم رجال من التنظيم، وفق قولها.

ليندا امرأة أخرى تبلغ من العمر 27 عامًا، قالت لعنب بلدي، إن حياتها حُكمت باللون الأسود، الذي طغى على لباسها، وامتد ليطال نظرتها للمستقبل في ذلك الوقت.

"حتى الحذاء الملوّن كان ذنبًا"، أضافت ليندا، في محاولة لتجسيد حجم التحكم الذي فرضه التنظيم على حياة المرأة، بحسب تعبيرها.

من جهتها، قالت الباحثة الاجتماعية إيفا عطفة لعنب بلدي، إن سياسة التنظيم عملت على تنميط دور المرأة بـ"الجنس"، وحصر دورها داخل المنزل، وجرّدتها من حرّيتها وجميع حقوقها الأساسية.

وحُكم على المرأة بنمط حياة ثابت ومقيّد بـ"الشرع"، إذ فرض التنظيم زيًّا معينًا على النساء في الرقة، وحرّم خروجهن من المنزل دون محرم، وحُرمن من معظم النشاطات الاجتماعية، وفق دراسة صادرة عن مركز "حرمون للدراسات المعاصرة"، بعنوان "التغيرات التي طرأت على أدوار المرأة في الحرب السورية".

كما استخدم التنظيم طرقًا عدة لقمع وترهيب المرأة وذويها، من خلال تدخلهم بأدق التفاصيل من لباسها حتى حالتها الاجتماعية، وفق الباحثة الاجتماعية صبا عبد اللطيف.

تجريد من الحقوق

جرّد التنظيم المرأة في الرقة من جميع حقوقها على صعيد التعليم والطبابة والعمل والحرية، وهدف إلى تجريدها حتى من مكانتها في المجتمع.

"أكبر انتهاك ارتكبه التنظيم بحق النساء، تجريدهن من حريتهن وتحويلهن إلى عبد مأمور"، وفق ما قالته رغد.

وتابعت، "كنت امرأة عاملة ومستقلة، إلى أن سيطر التنظيم وحوّلني إلى إنسان مسيّر من قبل قوانين هدفها الأول تجريدي من حريتي".

"حتى العلم كان في قاموسهم جريمة، حُرمت من إكمال دراستي الجامعية، وحين حاولت تعليم الأطفال للمساهمة في إنقاذ الجيل من الموت، عاقبني التنظيم بمزيد من تقييد الحرية والخوف"، بهذه الكلمات تحدثت ليندا عن تجريدها وكل نساء المنطقة من حقهن بإكمال تعليمهن.

من جهتها، أُجبرت مريم (39 عامًا)، وهي إحدى المعلمات في الرقة، على ترك عملها، واختارت العزلة في المنزل، هربًا من فكر التنظيم وعقوباته التي يمكن أن تنهي حياتها.

وفي ظل غياب الكفاءات الطبية النسائية في الرقة، تحوّلت الحاجة للعلاج الطبي إلى عذاب بالنسبة لنساء المنطقة، بحسب ما قالته رغد.

وتابعت، "كانت أختي بحاجة لإجراء عملية عند طبيب مختص، ولأن زيارة المرأة لطبيب (رجل) كانت محرمة في شرعهم، اضطرت إلى تحمل الألم لفترة طويلة".

واعتبرت الباحثة الاجتماعية إيفا عطفة، تزويج المرأة لرجال من عناصر التنظيم، وطرق إجبارها على الإنجاب التي مارسها التنظيم بشكل ممنهج، أكبر انتهاك لحقوق المرأة.

وبحسب دراسة لمركز "حرمون"، فإن 80% من النساء في شمال شرقي سوريا لم يعملن خلال فترة سيطرة التنظيم، كما لم تستطع النساء إكمال تعليمهن خلال الفترة ذاتها.

فكر "الإدارة" وقيود العشائر

يغلب على حياة أهالي الرقة النمط العشائري الذي لم يقبل سياسة "الانفتاح" التي اتبعتها "الإدارة" منذ بدء سيطرتها على المنطقة، ما فرض على المرأة صراعًا جديدًا بين تقاليد العشائر وسياسة "الإدارة"، وفق النساء اللواتي تحدثت إليهن عنب بلدي.

وقالت رغد، إن معظم نساء الرقة يعتبرن سيطرة "الإدارة" ولادة جديدة لهن، ونجاة من "الموت" الذي فرضه التنظيم، لكنهنّ ما زلن محكومات بسلطة العادات والتقاليد.

"رغم أن (الإدارة) منحت النساء الكثير من الامتيازات التي حُرمن منها خلال سيطرة التنظيم، لم تستطع تجنّب النشاطات التي تثير حفيظة العشائر العربية المحافظة"، قالت مريم، منتقدة سياسة "الإدارة".

ليندا اختارت تجنّب أي نشاط يمكن أن يخالف عادات وتقاليد المنطقة، خوفًا من عواقب تجاهل الفجوة بين العادات وسياسة "الإدارة"، وفق تعبيرها.

كما أكّدت رغد أن "الإدارة" لم تنجح بالتعامل مع طبيعة المجتمع، إذ فرضت قوانين تخالف الدين والتقاليد، أبرزها قانون مناصفة المرأة للرجل بالميراث، الذي خلق أزمة حقيقية في المجتمع، وفق قولها.

يعتبر المجتمع في الرقة محافظًا ومحكومًا بالطبيعة العشائرية، لكنّه لم يعامل المرأة بـ"التطرف" الذي عاملها به التنظيم، ولم يقبل القوانين التي شرّعتها "الإدارة" باعتبارها بعيدة عن الواقع الاجتماعي للمنطقة، بحسب الباحثة الاجتماعية صبا عبد اللطيف.

وأثبتت دراسة "التغيرات التي طرأت على أدوار المرأة في الحرب السورية"، أن رفض الفكر والسياسة التي تروّج لها "الإدارة" من قبل المجتمع الذي اعتبرها غريبة عنه، دفع "الإدارة" لارتكاب الانتهاكات، واتباع سياسة الترهيب من خلال الاعتقال وممارسة التعذيب على النساء والرجال دون تمييز بينهم.

"بروباغندا" حرية المرأة

تظهر العديد من الدراسات دور "الإدارة" في تحسين العملية التعليمية للمرأة، والعمل على منحها أدوارًا سياسية، لكن بحسب ما رصدته عنب بلدي، اعتبرت العديد من النساء في المنطقة عمل "الإدارة" ليس إلا "بروباغندا" وشعارات غائبة عن أرض الواقع.

وقالت الباحثة الاجتماعية صبا عبد اللطيف لعنب بلدي، إن سياسة "الإدارة" بالتعاطي مع قضايا المرأة لا تزال مجرد شعارات، كما تعتبر المناصب الممنوحة لها شكلية، إذ إنه لا سلطة حقيقية للنساء في المجالس المحلية أو في "الإدارة الذاتية".

كما اعتبرت عبد اللطيف أن الانفتاح الذي تدعيه "الإدارة"، هو انفتاح صوري وصُمّم بفكر شمولي يشبه فكر حزب "البعث"، إذ يستخدمه كديكور أو مجال للحقن الأيديولوجي وبالتالي التنميط بفكر قومي "ماركسي".

ووثّق التقرير الدوري لـ"الشبكة السورية لحقوق الإنسان" ارتكاب "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، الذراع العسكرية لـ"الإدارة"، العديد من الانتهاكات بحق النساء، منذ آذار 2011 حتى آذار 2022.

وتعرضت نحو 19 امرأة عاملة في أنشطة ومراكز دعم المرأة للترهيب من قبل "قسد"، إلى جانب قتل نحو 165 امرأة، واعتقال نحو 522 امرأة، خلال الفترة ذاتها.

ووثّق التقرير العديد من ممارسات التمييز ضد المرأة العربية على خلفية عرقية، تمثّلت بحرمانها من فرص متساوية للعمل، وتقييد حرية تنقلها.

وبحسب دراسة لمركز "حرمون"، لا تؤدي جهود "الإدارة" دورًا في تمكين المرأة بالمعنى الحقيقي للكلمة، إذ إن معظم العاملات في مناصب تابعة لها يخضعن لسياق أيديولوجي صارم، وتصوّر مسبق للمرأة وأدوارها تعمل "الإدارة" على فرضه عليها.

كما عملت "الإدارة" على إشراك المرأة في مختلف مؤسسات الحكم والمؤسسات الإدارية، لكن جميعها "حقوق وهمية"، والهدف منها ليس تمكين المرأة من نيل حقوقها، بل استغلال تلك المرأة لنشر فكر "الإدارة" وتسيير سياستها، من خلال استقطاب موالين من النساء والرجال، وفق الدراسة.

واعتبرت الدراسة وجود النساء في مناصب سياسية داخل مؤسسات "الإدارة" ليس إلا واجهة إعلامية.

المرأة والرجل.. علاقة تحكمها السلطة

تأثرت علاقة المرأة في الرقة مع أفراد أسرتها، وخاصة مع الرجال منهم، بالسلطة الحاكمة للمنطقة، إذ لعب التنظيم دورًا كبيرًا بتفكيك الأسرة والتلاعب بنظرة الرجل للمرأة، كما حاولت "الإدارة" تحويل العلاقة بينهما إلى ما يتوافق مع سياستها.

تحت عباءة التنظيم

استطاع التنظيم التأثير على دور المرأة

في المجتمع، ونجح بتنميط صورتها داخل البيت من خلال سلطة الرجل، إما خوفًا عليها، وإما رغبة بفرض سيطرة أكبر.
وأجمعت النساء اللواتي تحدثت إليهن عنب بلدي على أن معظم الرجال تغيّرت طريقة تعاملهم مع نسائهم خشية تعرضهم للاعتقال من قبل عناصر التنظيم.
"قاد الخوف الذي فرضه التنظيم الكثير من الرجال لممارسة العنف على المرأة، خوفًا عليها وعلى أنفسهم من العقاب، حتى صارت عقوبات التنظيم ذريعة لمحاسبة الرجل للمرأة"، وفق ما قالته ليندا.
كما اختلف تعامل والد رغد معها خلال سيطرة التنظيم، إذ صار يراقب كل تفاصيلها وتحركاتها، خوفًا من أن يراها أحد ويجبرها على الزواج من رجال التنظيم، وفق قولها.
وتابعت، "ردد والدي كثيرًا (بترضي إنجلد؟) لإجباري على الالتزام بقوانين التنظيم التي لم تقتصر عقوباتها على المرأة حين تخطئ، بل طالت الرجل باعتباره الوصي عليها".
وبررت رغد موقف والدها، معتبرة الذل والعقوبات من قبل التنظيم كفيلة بتغيير طباع أي شخص وزرع الخوف بداخله، بحسب تعبيرها.
واستمرت صور الأنماط التقليدية لأدوار النساء السوريات في النسق الاجتماعي السوري، بل ازدادت قوة في المناطق التي سيطر عليها التنظيم، إذ اتخذ التنظيم موقفًا متحفظًا أو معاديًا لأي دور نسائي، للتأكيد على أن المرأة تحتاج إلى رعاية الرجل وحمايته، وعليها طاعته والخضوع لسلطته، وفق مقال نشره مركز "حرمون"، بعنوان "تصورات سورية متجاورة لأدوار النساء النمطية".
لكنّ سلطة التنظيم اختلفت بحسب "ولاة الأمر" في المنطقة، إذ اتبع التنظيم سياسة أكثر ليونة في الرقة مقارنة ببقية مناطق السيطرة، وكان هناك نوع من التعاطف من قبل الرجال في الرقة تجاه نسائهم، لكنّ نسبة صغيرة من العائلات تبنّت سياسة التنظيم، وفق دراسة "التغيرات التي طرأت على أدوار المرأة في الحرب السورية".
وبحسب الدراسة، عمل التنظيم على تكريس السلطة الذكورية في المجتمع حتى من خلال عقاب الرجل عوضًا عن المرأة عند قيامها بفعل مقاوم أو مخالف لسلطته باعتباره الوصي عليها .
وأكّدت الباحثة إيفا عطفة أثر سياسة التنظيم على علاقة المرأة بالرجل ضمن الأسرة الواحدة، إذ إن مخاوف الرجل من أذية المرأة حوّلتها إلى "عبء" عليه .
ورغم زيادة حالات العنف نتيجة طبيعة الرجل السلطوية، أو مخاوفه من التنظيم، لم تجد المرأة قانونًا يحميها، باعتبار العنف الذي يمكن أن يمارسه التنظيم أسوأ من أي عنف يمارسه الرجل، وفق عطفة.
وأضافت عطفة، أن المجتمع تحول إلى دائرة عنف ضحيتها المرأة، مشيرة إلى أن الضغط الممارَس على الرجل خارج المنزل انعكس على تعامله مع المرأة داخل المنزل.

في ظل "الإدارة"

أثّر الصراع بين عادات وتقاليد العشائر في المنطقة وسياسة "الإدارة" بشكل أساسي على علاقة المرأة بالرجل، الذي ما زال يحاول الالتزام بدوره السلطوي الممنوح من التنظيم ومن ثقافة المنطقة نفسها .
وبحسب رغد، عززت سياسة "الإدارة" في كثير من الأحيان عنف الرجل تجاه المرأة، في ظل عجزه عن إظهار رفضه للتحرر الذي تطالب به "الإدارة".
وأوضحت رغد، "يخشى الرجل خطر رفض سياسة (الإدارة) لكنه ما زال قادرًا على فرض سلطته على المرأة باعتبارها تخاف المجتمع".
وإلى جانب الشرخ بين التنظيم و"الإدارة"، أثّر حفاظ العديد من الرجال على صورة المرأة التي رسّخها التنظيم، ورفضهم الكامل لأي تغيير يمكن أن يطرأ على مكانة المرأة، برفض أكبر لسياسة "الإدارة" ولحرية المرأة وتمكينها في المجتمع، وفق رغد.
وما زالت السلطة الذكورية تطغى على طبيعة المجتمع، وتحكم المرأة وسط محاولة الرجل الحفاظ على سلطته، وفق الباحثة الاجتماعية إيفا عطفة.

بين الذات والسلطة

تركت السلطات الثلاث أثرًا كبيرًا على حياة النساء في الرقة، وفرضت على العديد منهن حالة اضطراب ورفض لأي شكل من أشكال السلطة، أو رفض للذات في بعض الحالات.
"وصف التنظيم المرأة بـ(السلعة)، و(الفتنة)، و(العورة)، والعديد من الأوصاف التي جرّدتها من قيمتها، وقلّصت دورها في المجتمع، خلال سيطرته، وحتى بعد خروجه من المنطقة"، وفق ما قالته ليندا عن أثر التنظيم على نظرة المرأة لنفسها ونظرة المجتمع إليها.
كما فرضت رؤية "السبايا" اللواتي تعرضن لأشد أنواع العنف النفسي والجنسي سؤالًا على المرأة في الرقة، "ماذا لو كنت مكانها؟"، ما وضعها في إطار العجز والضعف والخوف من أن تكون هي "التالية"، وفق ما قالته رغد، لتبرر حالة العزلة التي استمرت في حياتها لفترة طويلة بعد خروج التنظيم، مشيرة إلى أن جزءًا كبيرًا من الخوف بقي موجودًا جراء بقاء خلايا من التنظيم في المنطقة.
وتابعت رغد، "تمكنت من تجاوز ذلك الشعور من خلال إجراء أنشطة دعم للنساء والأطفال القادمين من مخيم (الهول)، وأشعر الآن أنني استعدت ذاتي، ربما لأنني صرت قادرة على رؤية أثر تطرف التنظيم، دون أن أكون عاجزة عن تغييره".
ورغم أن رغد استطاعت تجاوز أثر التنظيم على حياتها، ما زالت في الرقة مئات النساء اللواتي توقفت حياتهن عند انتهاكات التنظيم، وفقدن قدرتهن على العيش كجزء من المجتمع، وفق قولها .
من جهتها، قالت الباحثة الاجتماعية صبا عبد اللطيف، إن زوال التنظيم لا يعني زوال أثره، إذ ما زال إقصاء المرأة جزءًا من واقعها الحالي، مشيرة إلى أن العديد من تفاصيل الحياة التي فرضها التنظيم بقيت كما هي خوفًا من خلاياه التي ما زالت تشكّل تهديدًا أمنيًا كبيرًا على المنطقة.
وأثّرت السلطات الثلاث على المرأة حتى بأحقية مقاومتها للعنف الممارَس عليها، باعتبارها عاشت ضمن منظومة متكاملة من "مرتكبي الانتهاكات" بحقها .
وأكّدت الباحثة إيفا عطفة، أن العديد من النساء بقين خاضعات للسلطة المفروضة عليهن حتى بوجود فرصة لحمايتهن، خوفًا من أن تغلبهن السلطة الكبرى، موضحة أن السلطة الكبرى في المجتمع العشائري تبقى لعاداته وتقاليده.
بدوره، قال الطبيب النفسي إسماعيل الزلق لعنب بلدي، إن النظرة السلبية للذات يمكن أن تكون نتيجة ظروف عاشها الإنسان، مثل تعرضه للظلم، أو من الممكن أن تكون النظرة السلبية جزءًا من اضطراب نفسي أكبر مثل الاكتئاب.
وأضاف الزلق، أن عدم تقدير الذات أو النظرة السلبية تجاه الذات، تؤثر على تعامل الإنسان مع حقوقه، إذ إنها تمنعه عن المطالبة بحقوقه باعتباره "أقل" من أن يستطيع ذلك.

على طريق التعافي

يحتاج تجاوز الصراع الذي تعيشه النساء في الرقة إلى العديد من المقومات الأساسية، والخطط المنهجية التي تبدأ بإصلاح مكانة المرأة في المجتمع، وتوضيح دورها لتستعيد نظرتها الحقيقية تجاه نفسها، ومن حولها، وفق ما قالته رغد.
تعمل رغد في تقديم الدعم النفسي للناجيات من مخيم "الهول"، بينما انخرطت ليندا بعمل المنظمات، وتعمل مريم في جمعية لتمكين المرأة.
واعتبرت رغد أن عملها من أجل تحقيق السلام لتجاوز نتائج الحرب التي فكّكت الأسرة والمجتمع، يلعب دورًا أساسيًا بتحقيق سلامها الداخلي.
أسهم دخول المنظمات الإنسانية الدولية إلى المنطقة مجددًا في تشكّل عدد كبير نسبيًا من المنظمات المحلية، التي لعبت المرأة دورًا أساسيًا بأنشطتها، ما ساعد على تعزيز دورها في المجتمع، وفق دراسة "التغيرات التي طرأت على أدوار المرأة في الحرب السورية".
من جهته، اعتبر الطبيب الزلق أن تجاوز حالة عدم تقدير الذات يعتمد على خطوتين أساسيتين، هما تحسين نظرة المرء لنفسه، وتلقيه رسائل من المحيط تعزز تقديره لذاته.

وقالت الباحثة الاجتماعية صبا عبد اللطيف، إن الخطوات اللازمة لإعادة تأهيل المرأة هي خطوات تعتمد بشكل أساسي على الواقع الأمني، وحماية النساء من أي خطر يهدد حياتهن، والعمل على تمكين المرأة اقتصاديًا لتستطيع توفير احتياجاتها ومتطلباتها الأساسية.
كما حمّلت عبد اللطيف جزءًا من مسؤولية إعادة تمكين المرأة لمنظمات المجتمع المدني الموجودة في المنطقة.

نساء في سوق بمدينة الرقة – أيلول 2020 (عنب بلدي/ عبد العزيز الصالح)

أقوى الأعضاء ولكنها الأكثر عرضة للإصابة

ألم القدمين

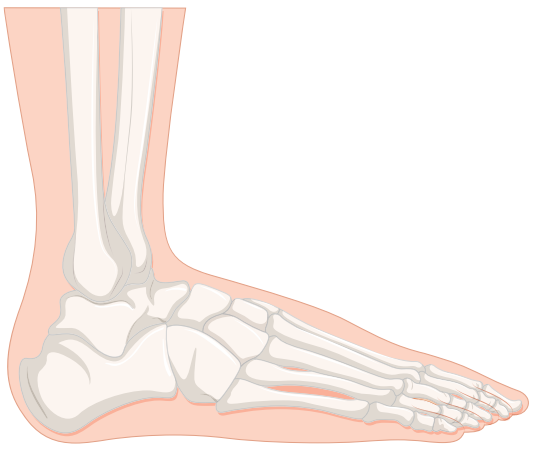

د. كريم مأمون

القدم هي شبكة معقدة من العظام والأربطة والأوتار والعضلات، إذ إنها تتألف من 26 عظمة وأكثر من 30 مفصلًا، وعلى الرغم من أنها قوية فإنها كثيرًا ما تتعرض للإصابة والألم بسبب استخدامها الكبير في الحركة. قد يكون ألم القدمين طفيفًا أو حادًا، وقد يكون مؤقتًا أو دائمًا، ويمكن أن يؤثر على أي جزء من القدم، ابتداء من الأصابع حتى الكعب والكاحل.

ويعاني معظم الناس من ألم القدم في مرحلة ما من حياتهم، ويؤدي ذلك إلى صعوبة في الوقوف والمشي أو متابعة النشاطات اليومية.

ما أسباب ألم القدمين؟

قد يحدث ألم القدمين نتيجة بعض الحالات المرضية، لكن أكثر الآلام شيوعًا هي الناتجة عن كثرة الاستخدام أو عن التعرض للإصابة، كما هي الحال عند ممارسة بعض الرياضات أو القيام بالأعمال التي تتطلب قدرًا من النشاط البدني، وقد يحدث الألم نتيجة ارتداء أحذية غير صحية (أحذية شديدة الضيق، أو ذات كعب عالٍ، أو شد أربطة الحذاء بشكل شديد الإحكام)، وخاصة عند وجود وزن زائد (بدانة أو حمل)، وتقسم أسباب ألم القدمين وفق الآتي:

-1 الإصابات: يؤدي التعرض لإصابة شديدة أو سقوط مفاجئ إلى حدوث كدمات، وربما تعرضت العظام للتشقق حتى دون كسرها بالكامل، وكل ذلك يسبّب آلامًا شديدة، كذلك يؤدي حدوث التواء القدم أو الكاحل إلى تمزق أو شد في ألياف الأربطة التي تثبت العظام معًا ما يسبّب الألم، ويؤدي الإجهاد العضلي الزائد إلى الألم نتيجة حدوث نوع من التمزق في العضلات عند تمددها أكثر من طاقتها بشكل خاطئ، وتؤدي التهابات الأوتار والأربطة إلى الشعور بالألم وتقيد في الحركة، وخاصة تأذي وتر أخيل الذي ينتج عن الشد المتكرر أو القوي لهذا الوتر، الذي يربط بين عضلات الربلة وعظم الكعب، وهو يُستخدم في السير والجري والقفز أو الوقوف على أطراف الأصابع، ولذا فإن إصابته غالبًا ما تحدث خلال ممارسة الرياضة، وتتظاهر بألم وتيبّس على امتداد الحافة الخلفية للكعب.

-2 التشنجات العضلية: قد يؤدي الإجهاد العضلي أو الوقوف لفترات طويلة أو القيام بحركات مفاجئة إلى حدوث التشنجات العضلية التي تسبّب ألمًا حادًا ومفاجئًا وانتفاخًا ظاهرًا تحت الجلد مع ظهور محتمل لاحمرار في المنطقة المصابة.

-3 القدم المسطحة (غياب قوس القدم): تعتبر القدم المسطحة من أسباب ألم القدمين في حال عدم التزام المريض بالإجراءات والقواعد الطبية اللازمة للسيطرة على حالته.

-4 بعض الأمراض: هناك العديد من الحالات المرضية التي تسبّب ألمًا في القدمين، ومنها:

التهاب المفاصل: قد تؤثر هذه الحالة على الحوض أو الركبة ومفاصل القدمين مسببة ألم القدمين.

إصبع القدم المطرقية: هو تشوّه المفصل الوسيط لإصبع القدم، يتشكّل نتيجة لخلل في العضلات أو الأوتار أو الأربطة التي تمسك إصبع القدم بشكل مستقيم.

داء النقرس: عادة يسبب النقرس التهاب مفصل إبهام القدم بشكل خاص.

اعتلال الأعصاب: يسبب تضرر الأعصاب الناتج عن أمراض مثل السكري ألم القدمين.

دوالي الساقين: تعتبر دوالي الساقين أحد أسباب ألم القدمين، وهي حالة تنتفخ فيها الأوعية الدموية وتتضخم، وقد تتسبّب بألم بشكل خاص في كاحل القدم.

العصب الأخمصي (ورم مورتون العصبي): وهو نوع من أنواع الأمراض التي تصيب القدم وتشكّل آلامًا شديدة فيها، وهو عبارة عن كتلة عصبية صغيرة تنمو في أخمص القدم بين الأمشاط، يشيع بين الأشخاص في منتصف العمر، وخاصة النساء، ويسبّب التنميل والألم.

التهاب اللفافة الأخمصية: أي الأذية في الحزمة النسيجية الموجودة أسفل الأخمص، وتؤدي إلى ألم شديد في الكعب.

البروزات العظمية: وخاصة في عظم العقب، وهو ما يسمى بالمهماز العقبي، ويؤدي إلى ألم في الكعب.

الثآليل الأخمصية: وتوجد أسفل القدم.

قد الرياضي: وهي حدوث عدوى فطرية بين أصابع القدم.

الظفر الناشب: ويحدث غالبًا في الإبهام حيث ينغرز الظفر في اللحم، وتسبّب العدوى الجرثومية الألم الشديد.

تصلّب الشرايين: هو مرض ينشأ نتيجة تراكم الدهون داخل الشرايين، ما يسبّب تضيّقها والإخلال بقدرة الدم على التدفق، وهذا يسبّب ألم القدمين.

خثار الأوردة العميقة: هنا تنشأ جلطات دموية في أحد الأوردة العميقة في الجسم خاصة في أسفل القدمين، ما يسبّب ألم القدمين.

قصور الغدة الدرقية: مع أن الأمر قد يبدو غريبًا، إلا أن قصور الغدة الدرقية من أسباب ألم القدمين.

انزلاق القرص الغضروفي: عندما يتزحزح القرص من مكانه في العمود الفقري، يبدأ بالضغط على الأعصاب المحيطة ليشعر المصاب بالألم في أماكن مختلفة من الجسم، بما في ذلك القدمان.

الأورام: تسبّب الأورام الحميدة أو الخبيثة ألم القدمين، وذلك بسبب ضغطها على الأعصاب. كما أن ظهور ورم في العظام نفسها يسبّب ألمًا أيضًا.

انزلاق مشاش عظمة الفخذ: ينفصل رأس عظمة الفخذ عن مكانه الطبيعي في الحوض، ما يسبّب ألم الحوض والقدمين خاصة لدى الأطفال.

عرق النسا: عرق النسا هو مرض يتسبّب في ألم حاد قد يمتد ليطال الحوض والفخذين.

التضيّق الشوكي: هي حالة يتضيّق فيها العمود الفقري ويبدأ بالضغط على الحبل الشوكي، فيسبّب ألمًا في القدمين.

حالات مرضية عديدة أخرى: مثل التصلب اللويحي، شلل الأطفال، خلل في الغدد اللمفاوية، وسرطان المبيض.

كيف يُشخص سبب ألم القدمين؟

يعتمد تشخيص السبب الأساسي للألم في القدم على وصف الحالة، ومكان الإزعاج، وكيفية بدئه، والعوامل التي تثيره، ثم يجري الطبيب فحصًا سريريًا، وقد يوصي بإجراء اختبارات التصوير، مثل الأشعة السينية أو التصوير بالرنين المغناطيسي أو الأشعة المقطعية، وربما تطلّب الأمر إجراء بعض التحاليل المخبرية لتشخيص الأسباب.

ما خيارات العلاج؟

في معظم الحالات، تكون العلاجات المنزلية كفيلة بتسكين الألم، كوضع الثلج على مكان الألم عدة مرات يوميًا، أو رفع القدم لتخفيف التورم، أو إجراء مغطس دافئ للقدمين ثم القيام بتمارين التمدد للقدمين، أو استخدام المسكنات التي لا تحتاج إلى وصفة طبية لتسكين الألم والالتهاب مثل الباراسيتامول والآيبوبروفين.

ولكن هنالك حالات تستدعي طلب الرعاية الصحية، ويضع الطبيب خطة العلاج المناسبة لكل حالة، كحقن الستيروئيدات الموضعية في بعض الحالات، أو تثبيت الكاحل والقدم بالجبائر البلاستيكية أو وضع الدعامات أو وصف أحذية خاصة، أو التحويل للعلاج الفيزيائي أو وصف أدوية مناسبة للحالة.

متى تجب مراجعة الطبيب؟

لا بد من مراجعة الطبيب وطلب العناية الطبية في الحالات الآتية:

- **إذا كان الألم شديدًا.**
- **إذا حدث بشكل مفاجئ.**
- **إذا كان هناك جرح مفتوح في القدم.**
- **في حال عدم القدرة على الاستناد إلى القدم، أو عدم القدرة على المشي عليها.**
- **إذا كانت منطقة الألم تحتوي على علامات التهاب كالاحمرار والتورم وأعراض الالتهاب الأخرى.**
- **إذا كان الألم حارقًا أو ترافق بخدر.**
- **إذا كان الشخص يعاني من حالة مرضية تؤثر على تدفق الدم، أو كان مصابًا بالداء السكري، ويعاني من ألم في القدم.**
- **في حال ارتفاع درجة حرارة الجسم بالإضافة إلى ألم القدم.**

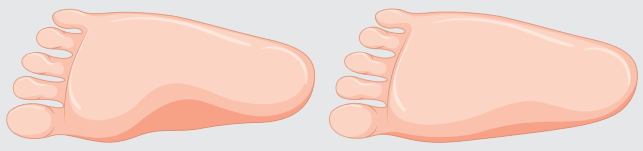

خمس توصيات لحفظ الخصوصية عبر وسائل التواصل الاجتماعي

أمام صعوبات قد يواجهها المستخدم لحماية خصوصيته عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وفي ظل صعوبة التحقق من الوصول إلى خصوصية تامة، حتى لو حذف المستخدم حسابه كليًا، فهناك مجموعة من النصائح وضعها مختصون تقنيون، قد تسهم في تخفيف حدة القلق أو المخاوف بعد تطبيقها، باعتبارها عوامل مساعدة على حماية الخصوصية.

فهم الشروط

اقرأ واستوعب شروط الخصوصية، باعتبار أن لكل موقع على الإنترنت شروط خصوصية، بما في ذلك مواقع التواصل الاجتماعي، فقبل تسجيل الدخول إلى أي من وسائل التواصل الاجتماعي وفتح حساب، من المهم أن تقرأ وتفهم شروط الخصوصية الخاصة بها.

ومن الضروري الانتباه إلى شروط الخصوصية للمعلومات التي تسجلها وتوافق على مشاركتها عند التسجيل للحصول على حساب في إحدى منصات التواصل الاجتماعي.

ميزات الموقع وإعدادات الخصوصية

من المهم التأكد من التعرف إلى وظائف مواقع التواصل الاجتماعي قبل بث أو مشاركة أي رسائل، وفهم من سيرى رسائلك، وما إذا كان سيراها أشخاص محددون أو جميع المستخدمين على النظام الأساسي.

وطالما أن لكل منصة وسائط اجتماعية تستخدم إعدادات خصوصية افتراضية على الموقع، فلا بد من تفقدها، وعدم السماح بمشاركة معلوماتك مع مستخدمين آخرين عبر الإنترنت من جهات خارجية.

ويساعد ضبط إعدادات الخصوصية الافتراضية في تقييد كمية المعلومات التي يمكن لموقع التواصل الاجتماعي مشاركتها مع مستخدمين آخرين خارج نطاق معرفة المستخدم.

معلوماتك ومعلومات الحساب

عند تسجيل حساب في العديد من منصات الوسائط الاجتماعية، سيُطلب من المستخدم تقديم معلومات عن سيرته الذاتية، مثل الاسم الكامل، أو سنة الميلاد، أو العمر، أو العنوان.

ومن الضروري الاحتفاظ بهذه المعلومات بمنأى عن الآخرين، لتقييد ما يعرفه مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي الآخرون عن المستخدم، إذ يمكن أن تزوّد هذه المعلومات مجرمي الإنترنت ببيانات كافية لإلحاق الضرر بالمستخدم، مع التفكير في نوع التفاصيل الشخصية التي تقدمها في ملفك الشخصي على وسائل التواصل الاجتماعي، وعدم تقديم معلومات حساسة مثل أقرب المدارس، أو الانتماء السياسي، أو معلومات الحساب المصرفي، أو مكان العمل السابق، أو الحالي، أو أرقام الضمان الاجتماعي، أو الاهتمامات العامة، من بين أمور أخرى.

الأصدقاء وجهات الاتصال

لا يجب الالتزام بقبول طلب "صداقة أو متابعة" لأي شخص على وسائل التواصل الاجتماعي، وخصوصًا أولئك الذين لا تجمع المستخدم بهم معرفة شخصية، فمن الضروري الحذر عند قبول الأصدقاء أو متابعة الأصدقاء أو جهات الاتصال، مع مراعاة شديدة لسبب استخدام الموقع الجغرافي.

وقبل قبول أي متابعة أو طلب صداقة، يمكن البحث عن الشخص وفهم من يكون وماذا يفعل ونوع المحتوى الذي يشاركه، من خلال الجدول الزمني ليومياته.

الموقع والصور

في أثناء ضبط إعدادات الخصوصية، من الضروري إيقاف تشغيل مشاركة الموقع، وتجنب إعطاء تعليقات للأماكن والأنشطة التجارية التي يزورها المستخدم، مع ضرورة الحذر أيضًا بشأن نشر الصور على الإنترنت، إذ جرى تحديد نشر الصور على وسائل التواصل الاجتماعي كأحد أنشطة الشبكات الاجتماعية المحفوفة بالمخاطر، فالصور قد تكشف الكثير من المعلومات.

سينما

فيلم "A HERO".. الكذب لإثبات الصدق

يحاكي الفيلم الإيراني "A HERO"، أو "البطل" بالعربية، قضية يتبناها المؤلف والمخرج الإيراني أصغر فرهادي، وهي حالة الصراع، ليس بين القيم المتضاربة، والأشياء وأضدادها، بل بين ما هو متشابه، وما يسميه بعض النقاد السينمائيين "الصراع بين الصوابات".

والقضية أن "رحيم"، بطل الفيلم والأفكار التي سيدفع ثمنها بعد قليل، يخرج من السجن في إجازة قصيرة للقاء عائلته وحبيبته، لكن ضميره الذي تدخّل في لحظة ما، وأعاده إلى فطرته الإنسانية، حوّله فجأة إلى بطل يطل عبر شاشة التلفاز بسبب أمانته حتى في أقسى الظروف.

الموضوع لا يقف عند التكريم والشكر، فهذه الأمانة، وباعتبارها خضعت لسياقات فرهادي المدروسة، جرّت البطل إلى حالة من الشبهة، ونقلته إلى خانة الاتهام والتشكيك، فصار مضطرًا إلى إثبات بطولة لم يدعِها أو يركض خلفها، لمجرد نفي اتهامات ساقتها له ظروف وقوالب عاطفية واجتماعية، مرد بعضها إلى الدين والعادات والمجتمع، والدائرة القريبة الضيقة من الرجل.

وفي محاولة غير موفقة لإثبات صدقه، يغرق "رحيم" في رمال متحركة من الأكاذيب، فما إن يكذب للمرة الأولى في سبيل إثبات الصدق السابق، حتى يغوص في كذبة ثانية لجعل الأولى ذات مصداقية، ما يعني الكثير من الوهم لإثبات ما هو حقيقي فعلًا، وتحوّل البطل إلى ضحية زاهدة بالتكريم مقدار طمعها بالنجاة من العقاب الذي قد يطال السمعة واسم العائلة والكرامة أيضًا.

شاعرية الصورة والمشهد طاغية لدى فرهادي، بابتعاد مقصود عن عوامل يمكن أن تشتّت الانتباه عن الجوهر، فبطل العمل شخص عادي، من الناس الذين يمكن مصادفتهم في الطريق، وهو بطل المصادفة، ما منحه الحق في المحافظة على صفات عادية غير خارقة أو مميزة.

لا موسيقا تصويرية في الفيلم، مع استثناء القليل من موسيقا "السانتور"، التي تخرج من أحد الدكاكين قبيل مشكلة ستجر للبطل الكثير من العناء.

ولعل من أبرز المشاهد التي يحملها العمل "صعود الدرج"، وهو من المشاهد الافتتاحية، ويتقصد خلاله فرهادي أن يصعد بطله "حتى تلك اللحظة"، درجًا طويلًا، أو كثيرًا من الأدراج المتتابعة، بما يقربه من الصورة "السيزيفية"، فكل تعب الصعود جدواه قليلة إن وجدت، وكل هذا التعب يغض الطرف عنه بكلمتين تأتيان للتعقيب عليه، ثم يدخل خانة القبول ككثير من الأشياء غير المرضية، التي يسكت عنها الإنسان لأسباب كثيرة.

أفلام المخرج الإيراني بمعظمها تقوم على المفهوم الثنائي، ومنح الشخصيات الرئيسة هويتها منذ البداية، بما يتيح للمشاهد إطلاق أحكام متسرعة على جدلية بصرية، قد تبقى مفتوحة حتى بعد انتهاء الفيلم، لكن "البطل" لا يسمح بخلق الأحكام، مقدار ما يتسامح بخلق الانطباعات، فلا حكم هنا يمكن إطلاقه والقضية مفتوحة ومتفاعلة، ومستجداتها تقاس بالمشهد والموقف.

والمشهد الثاني الذي يترك المشاهد مع مفارقة مأساوية، وليست مستحيلة، هو النهاية التي وصل إليها "البطل"، وربما اختارها، فبعد جهود مضنية أفقدت الإجازة مضمونها أمام محاولات متعبة لإثبات ما هو صحيح، يؤثر "البطل" العودة إلى سجنه، ربما لينشد فيه بعض الحرية التي سلبتها افتراضات الناس وحصار اتهاماتهم المبنية على شكوك، رغم أن البيّنة في القانون على من ادعى.

يسير الفيلم الدرامي على امتداد 127 دقيقة من التفاعل مع الحدث، والتوتر على مصير "البطل"، ببساطة لأن سينما فرهادي لا تشبه واقع المجتمع الإيراني فقط، بل يمكن قياسها على مختلف المجتمعات، باعتبار القصص مستوحاة من أفكار إنسانية أوسع من الإطارات الجغرافية.

تشارك بطولة العمل إلى جانب عامر جديدي، كل من سارينا فرهادي، وسحر جولدست، وإحسان جودارزي، وحسن تنابنده، ومريم الشهدائي، كما حصل على الجائزة الكبرى في مهرجان "كان" السينمائي، وحاصل على تقييم 7.5 من أصل 10 عبر موقع "IMDb"، لنقد وتقييم الأعمال الدرامية والسينمائية.

كتاب

"طفولة نهد".. نبوءة نزار بمشوار الشعر الطويل

من الممكن اعتبار ديوان "طفولة نهد" للشاعر السوري نزار قباني ديوان بداية ثانية، كونه أتى بعد انقطاع أربع سنوات، شكّلت الفاصل بينه وبين الديوان الأول "قالت لي السمراء"، الصادر عام 1944.

وبعد "طفولة نهد"، مضى قباني بسلاسة في عالم الشعر العربي من حيث الإنتاجية، فأصدر عام 1949، ديوان "سامبا"، ثم ديوان "أنت لي" عام 1950.

وفي الديوان يقول نزار قباني عن نفسه مقدار ما يقوله عن المواضيع التي انتقاها وعبّر عنها، فأوصل للقارئ نبوءته المبكرة بمشواره الشعري الطويل.

وفي قصيدة حملت اسم "سؤال"، وهي القصيدة الـ12 من 37 قصيدة شكّلت مجمل الديوان، يقول قباني ردًا على تساؤلات وجودية تطرحها حبيبته في النص، "نموت؟ أما أسف أن نموت؟ وما يبست بعد أوراقنا".

وفي البيت التالي تطغى الكينونة الشعرية المشبعة بعنفوان الشباب لدى الشاعر، فيتابع "يقولون من نحن؟ نحن الذين حرام إذا مات أمثالنا".

تتنوع في "طفولة نهد" المواضيع تنوع القوافي، فلا يوحي العنوان بالفحوى، ولا تبوح الفحوى بقوافيها الفاترة، مقارنة بما جاء في الديوان الأول من حالة تمرد غير مروّضة للشاعر الفتى، فاللغة هنا أكثر استقرارًا وهدوءًا، وأقل استعجالًا باعتبار أن القادم سيحمل ما لم يحلمه هذا الديوان بعد، وأن هناك متسعًا من الحبر والورق والمشاعر لدى الشاعر الدمشقي.

ومن أبرز ما يميز الديوان، أن قصيدتين منه شكّلتا بداية تعاون فني وموسيقي بين الشاعر والفنان العراقي كاظم الساهر، هذا التعاون المستمر حتى بعد 24 عامًا من وفاة نزار قباني.

وغنى كاظم الساهر قصيدة "طائشة الضفائر"، التي يأتي في مطلعها "تقولين الهوى شيء جميل، ألم تقرأ قديمًا شعر قيس". وبعد ابتعاد طويل، عاد الفنان العراقي ليغني قصيدة "على الدرب" منذ سنوات قليلة مضت، ويقول مطلعها "زر مرة ما أصبحك".

صدر الديوان عام 1948، وجاء على امتداد 51 صفحة، بما يشبه إلى حد بعيد معظم دواوين الشاعر التي اعتمدت خفة عدد الأوراق، وثقل ما تحمله من مشاعر يصعب وقد يستعصي شرحها دون تطويع منقطع النظير للغة، بما يساعد في فهم القارئ أحيانًا ما يشعر به دون أن يجد له تفسيرًا أو موقعًا من الإعراب.

نزار قباني شاعر ودبلوماسي سوري، ولد عام 1923، في حي مئذنة الشحم العريق بالعاصمة السورية دمشق، ويقول أبناؤه تعليقًا على ولادته في 21 من آذار ورحيله في 30 من نيسان 1998، "ولد في الربيع ورحل في الربيع، الربيع كان قدره كما كان الشعر".

تأثر نزار بالبيئة الثقافية التي نشأ في ظلها، فهو حفيد "أبو خليل القباني"، أحد رواد المسرح السوري، وهو أيضًا صاحب إرث أدبي ضخم مقاوم لعامل الزمن بفضل اللغة والأغنية التي نشرها في الوطن العربي على لسان كبار المطربين.

36 ديوانًا من الشعر، و12 كتابًا في النثر، منها كتاب "من أوراقي المجهولة"، الذي يروي السيرة الذاتية للشاعر بقلمه نفسه، إلى جانب مسرحية بعنوان "جمهورية جنونستان"، وتاريخ طويل في عداء السلطة، ومواكبة القضايا العربية السياسية والإنسانية، والكثير من العواطف التي كان منبعها ومصبها في شعر قباني المرأة.

وبعد هذه المسيرة الحافلة، يمكن القول إن نبوءة نزار صدقت حين قال في ثانية قصائد ديوانه "طفولة نهد"، التي حملت اسم "أزرار"، "إني أضأت وكم خلق أتوا ومضوا، كأنهم في حساب الأرض ما خلقوا".

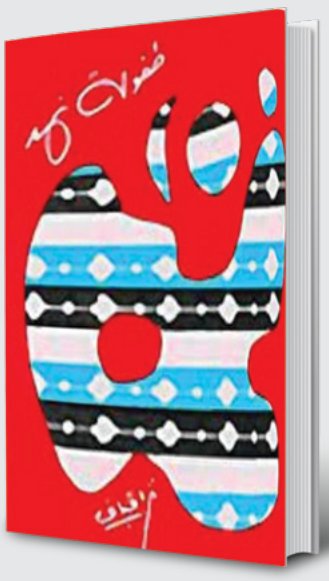

		8			2	1		5
	5						4	
6			5	7			2	
	8	6	3			2		
			7		8			
		1			4	8	3	
	3			1	5			2
	9						7	
1		2	8			4		

لعبة تتكون من 9 مربعات كبيرة 3×3، و81 مربع صغير 9×9.
تكون بعض المربعات الصغيرة معبأة بالأرقام بدايةً،
وعلى اللاعب إكمال باقي المربعات باستخدام الأرقام من 1 إلى 9،
في كل واحدٍ من المربعات التسعة الكبيرة، وفي كل صفٍ أو عمود.

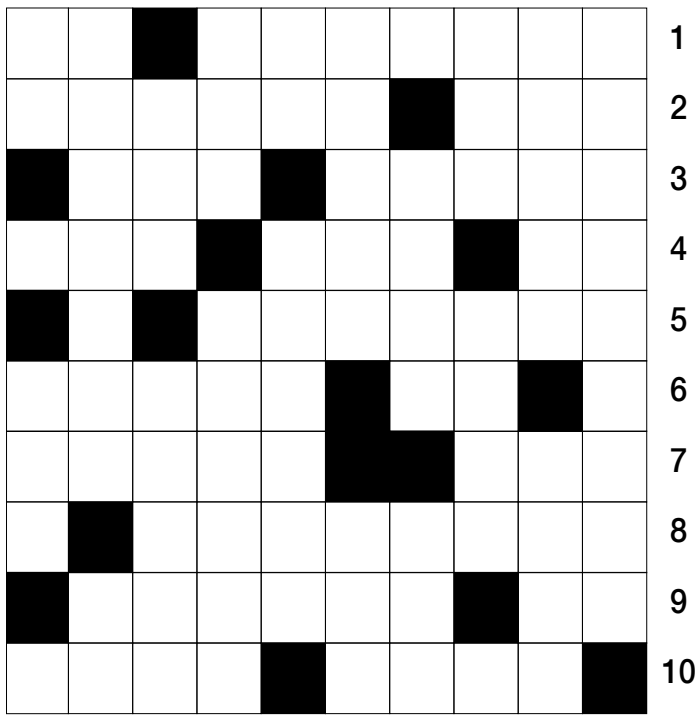

أفقي
1. عالم طبيعة وفلك ورياضيات ومهندس يوناني - أداة تعريف
2. ذكرت في القرآن الكريم بمعنى أظهر العبوس - عاصمة عربية
3. من الهواتف الذكية (معكوس) - جهد ومشقة (معكوس)
4. والد - ضيق - الكوكب المضيء
5. أكمل الآية (وماخلقت الجن والإنس إلا.....)
6. من الأسماء الخمسة - من الطائرات الحربية
7. مختصر منظمة الزراعة والأغذية - كلمة ضرب بها المثل بالشؤم على قومها
8. ممثلة مصرية (معكوس)
9. حرف مكرر - حلقات تلفزيونية اسعراضية كانت تعرض في رمضان
10. محكوم عليه - قاطع لارجعة فيه

عمودي
1. عالم موسوعي وطبيب عربي مسلم
2. نوع من السهول التي تكونت بفعل زوال الترسبات - أجمل
3. تدهور مستمر في وظائف الدماغ ينتج عنه اضطراب في القدرات العقلية - أكمل البيت (القلب أعلم يا ..... بدائه وأحق منك بجفنه وبمائه) للمتنبي
4. يزحف على يديه ورجليه - صفح عن
5. يلاحقه محاولًا الإمساك به - قصد الأمر وعزم عليه (معكوس)
6. جواب (معكوس) - من سور القرآن (معكوس)
7. قوة وشدة (معكوس) - من أشهر السنة الميلادية (معكوس)
8. عكس قبل - عهد والفه (معكوس)
9. يعد الغذاء الرئيسي لأكثر من نصف سكان العالم
10. مرض يصيب الجهاز التنفسي (معكوس) - عكس نجاح (معكوس)

حلول العدد السابق

3	8	5	4	6	9	2	1	7
7	6	2	8	1	3	5	9	4
4	1	9	2	5	7	3	8	6
9	3	4	7	8	5	6	2	1
6	2	8	9	4	1	7	3	5
5	7	1	6	3	2	8	4	9
8	4	7	1	2	6	9	5	3
1	5	6	3	9	8	4	7	2
2	9	3	5	7	4	1	6	8

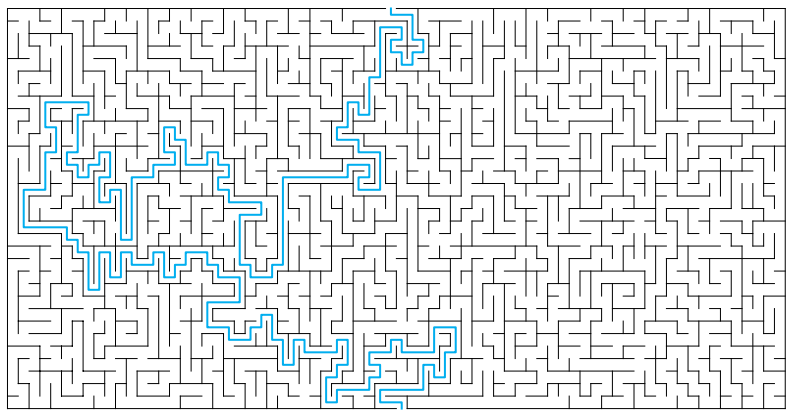

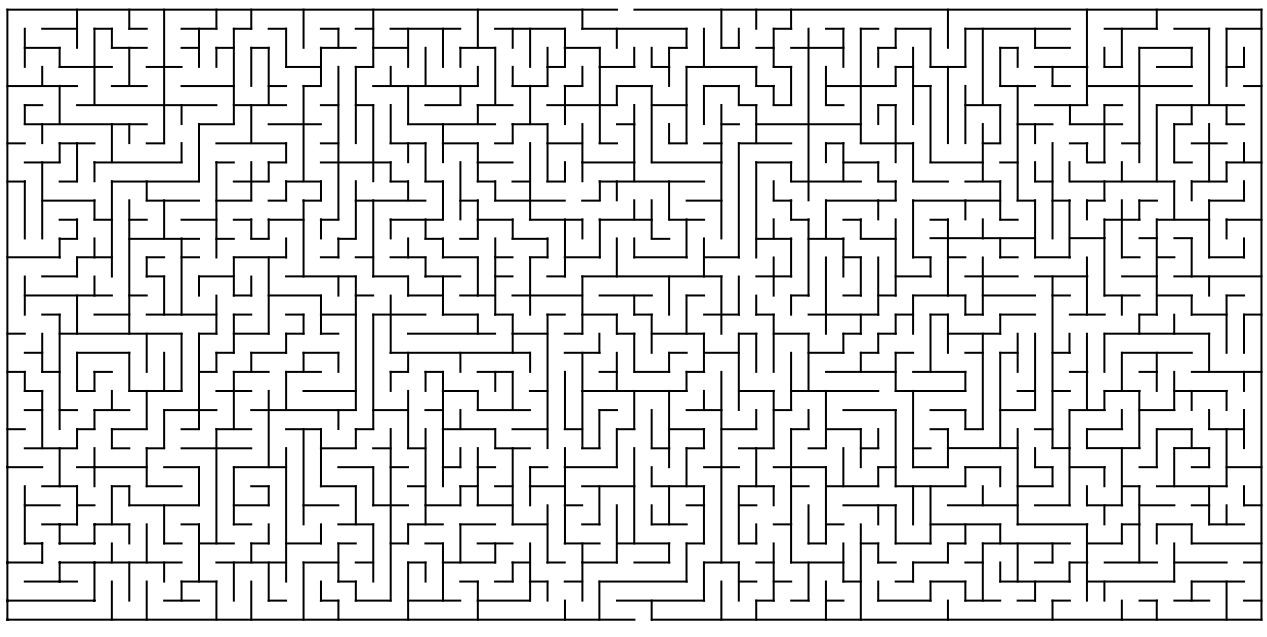

الملوك يطردون الأمراء في الشامبيونزليغ

عروة قنواتي

تعالوا نتفق على أن مـا فعله كريم بنزيما ورفاقه مع مدربهم المخضرم كارلو أنشـيلوتي بحق باريس سـان جيرمان ليس إعجازًا، وأن كثيراً من العشاق والمتابعـين في كرة القدم توقعوا فوز الريال في مباراة الإياب، والتأهل على حسـاب باريس سان جيرمـان الذي فاز ذهابًا بهدف كيليان مبابي، بصرف النظـر عما إذا كان التوقع بالفوز مبنيًا على العاطفة والمحبة أو على فهم أبسـط وأعقد أمور كرة القدم بين الفريقين.

ولكـن لنتفق أيضًا على أن عبور ريال مدريد يصنّف في خانـة الإنجاز المهم، بعد حصة الذهاب التي لم يظهر فيهـا للريال لا هوية ولا قدرة على التقدم للأمام، إذ ناضـل دفاع الفريق الأبيض حينها ومعه المتألق تيبو كورتـوا حارس المرمى لحماية القميص والمرمى، إلا من هـدف كيليان مبابي الذي جاء في الدقيقة الـ93.

لمـاذا يصنّف فوز الريال ضمن خانة الإنجاز؟ لعدة أسباب طبعًا:

ريال مدريـد في مباراة الإياب لم يلبِّ التوقعات، التي افترضت أنه سـيدخل مقاتلًا وشجاعًا منذ لحظاتها الأولى، فخرج من الشـوط الأول مهزومًا بهدف جديد لكيليـان مبابي وبعدة فرص خطرة على مرماه أبعد منها الحارس ما اسـتطاع، وعاند الحظ ليونيل ميـسي في إحداها فلا الحارس أوقف كرته ولا هي زارت الشـباك، بينما كان كريم بنزيما المتألق الوحيد الباحث عن حل لفريقه في الشـوط الأول مع تكرار محاولاتـه لافتتاح النتيجة أو إحراز التعادل.

أما الشـوط الثاني فكان بصيغة ثانية مختلفة من حركة الضغط الجديدة في خط الوسط والاستفادة من مساحات جيدة للتعامل مع انقسام الفريق الباريسي، بين من يدافع ومن لا يعود للدفاع، بالإضافة إلى الهفوة القاتلة من الحارس الشاب دوناروما، الذي أُضيف إلى ضحايا المتألق كريم بنزيما من فئة حراس المرمى، فجرب حظه أمام كريم واحتفظ بالكرة بلا أي داعٍ ومن دون أي مبرر ليضغط عليه الساحر، كما فعلها سابقًا مع أورليتش حارس بايرن ميونيخ وكاريوس حارس ليفربول، مهديًا الملكي هدف التعادل في المباراة، الذي أعاد النشوة للمدرجات وللملعب وللفريق الأبيض ومدربه أنشيلوتي.

أنشيلوتي بدوره كان المسـاعد للاعبيه وللقائد بنزيما بقراءة صحيحة في التبديلات بالشـوط الثاني، فوسـط كل إحراجات خصمه بوكتينيو التي بدأت تظهر بعد هدف التعادل، قرأ أنشـيلوتي المشهد بشكل صحيح فأطبق على الوسـط بقوة، وتكفّل بنزيما بطـرق مرمى الأمراء مرتين بعد هدف التعادل في غضون دقيقتين وسـط ذهول كل من يتابع المباراة بأخطاء فاضحة من وسـط ودفاع باريس سان جيرمان. وهنا كان الإنجـاز وهنا كانت عملية قلب الطاولة، حيـث لا حول ولا قوة للفريق الباريسي مع بقاء ربع سـاعة لنهاية المباراة، وحاجته إلى هدف وحيد حتى يذهـب للتمديد، ولكن، من بقيت له قدرة على الحراك؟

الملكي كان بحالة ضغـط رهيبة، لتأمين النتيجة في مواجهـة نيمار وميسي ومبابي ودوناروما وماركينيوس وفيراتي، وقائمة من الأسـماء التي عذبت الملـكي في الذهاب، صارت تحلم بالتعادل في ربع ساعة فشـلت فيها كل الأسماء ومن أمامها المدرب بوكتينيـو الذي صار يعلم أن أيام رحيله عن مهمته باتت قريبة.

إذًا، الملوك بهويـة البطل وبقدرة كريم بنزيما وبراعة أنشـيلوتي وثبات حارس المرمى وخط الدفاع... كلهـم بمجموعة واحدة طردوا الأمراء إلى حديقتهم في باريس، وذهبوا للتحضير لكلاسـيكو الإياب في إسـبانيا مع برشلونة صاحب الأسماء الواعدة والمدرب الشاب الجديد.

مبارك لريال مدريد ولعشاقه!

للمشاركة في تحرير صفحات "عنب بلدي" يمكنكم إرسال مشاركاتكم
عبر البريد الإلكتروني إلى editor@enabbaladi.org

الآراء الواردة في الجريدة لا تعبر بالضرورة عن رأي عنب بلدي

المحترفون الأجانب يتصدرون قائمة الهدافين في أوروبا

عنب بلدي – محمد النجار

يواصل الهدافون المحترفون الأجانب تفوقهم في الدوريات الأوروبية الخمس، في وقت انتصفت فيه مرحلة إياب الموسم الحالي، إذ تجاوزت معظم الدوريات الجولة 27، واشتدت المنافسة على معركة الصدارة ومربع الكبار.

أبرز الهدافين في الدوريات الأوروبية البولندي روبرت ليفاندوفيسكي لاعب بايرن ميونيخ، والذي يتصدر قائمة الهدافين في الدوري الألماني برصيد 28 هدفًا.

ليفا هو الوحيد الذي فاز بجائزة "فيفا" مرتين عامي 2020 و2021، كأفضل لاعب في العالم، من بين الهدافين حاليًا.

وفي الدوري الإنجليزي الممتاز يتصدر قائمة الهدافين المصري محمد صلاح لاعب ليفربول برصيد 19 هدفًا.

بينما يتصدر الفرنسي كريم بنزيما لاعب ريال مدريد لائحة الهدافين في الدوري الإسباني بـ 20 هدفًا.

فيما يتصدر الصربي دوشان فلاهوفيمتش لاعب يوفنتوس قائمة الهدافين في الدوري الإيطالي برصيد 20 هدفًا، وينافسه الإيطالي شيرو إيموبيلي (وهو المواطن الوحيد في دوري بلاده الذي يصل إلى صدارة الهدافين هذا العام) وله 20 هدفًا أيضًا.

الذهبي روبرت ليفاندوفيسكي

يعتبر البولندي روبرت ليفاندوفيسكي (33 سنة) لاعب بايرن ميونيخ، من أبرز الهدافين في الدوريات الأوروبية الخمس الكبرى، إذ حصل ليفاندوفيسكي على لقب هداف الدوري الألماني تسعة مواسم، والبداية كانت مع فريق بورسيا دورتموند في موسم 2011- 2012 وسجل 25 هدفًا، وفي الموسم الذي يليه سجل أيضًا 25 هدفًا، وفي موسم 2013- 2014 سجل 20 هدفًا وجميعها كانت لصالح بورسيا دورتموند.

وفي موسم 2014- 2015 انتقل إلى نادي بايرن ميونيخ، وأحرز المركز الثاني بقائمة الهدافين في البوندسليجا بـ 17 هدفًا.

ومنذ موسم 2015- 2016 وحتى الموسم الماضي (برصيد 41 هدفًا). يتصدر قائمة الهدافين في الدوري الألماني

ومجموع ما سجله البولندي في البوندسليجا منذ عام 2013 وحتى الآن 279 هدفًا، منها 199 لصالح البايرن، و80 هدفًا لصالح دورتموند.

بينما سجل ليفاندوفيسكي 79 هدفًا لصالح الأندية البولندية الست التي بدأ معها مشواره الكروي منذ عام 2004 إلى 2010، قبل أن ينتقل للدوري الألماني.

كما سجل 74 هدفًا للمنتخب البولندي منذ عام 2008 وحتى الآن في 128 حالة ظهور.

وحسب موقع "ترانسفير ماركت" للإحصائيات الرياضية تبلغ القيمة السوقية للبولندي 50 مليون يورو، انضم لنادي بايرن ميونيخ في 1 من تموز 2014 وينتهي عقده في 30 من حزيران 2923.

صلاح أفضل المحترفين العرب

بدوره، يتصدر المصري محمد صلاح (29 سنة) لاعب نادي ليفربول الإنجليزي قائمة الهدافين في البريميرليج برصيد 19 هدفًا.

ويعتبر صلاح أفضل لاعب عربي شهدته الملاعب الأوروبية، إذ تمكن من إحراز لقب هداف الدوري الإنجليزي الممتاز مرتين، إحداهما في موسم 2018- 2019 مناصفة مع السنغالي ساديو ماني ولهما 20 هدفًا، والثانية في موسم 2017- 2018 برصيد 32 هدفًا.

وسجل المصري محمد لفريق ليفربول منذ عام 2017 وحتى الآن 214 هدفًا من 466 مباراة، فيما سجل للمنتخب المصري الأول 45 هدفًا من 73 مباراة.

وحسب موقع "ترانسفير ماركت"، تبلغ القيمة السوقية لصلاح 100 مليون يورو، وانضم لنادي ليفربول في 12 من تموز 2017 ولغاية 30 من حزيران 2023.

كريم بنزيما أبرز القناصين

يُعتبر الفرنسي كريم بنزيما (34 سنة) من أصحاب الخبرة العالية في التسجيل لدى الفريق الملكي، وهو يتصدر قائمة الهدافين في الليجا برصيد 20 هدفًا.

ويبرز اللاعب هذا الموسم مع قيادته الفريق الملكي للانتصارات، وتسجيله أهدافًا مؤثرة، أبرزها الثلاثية في مرمى باريس سان جيرمان، الأسبوع الماضي، في دوري الأبطال.

حسب موقع "ترانسفير ماركت" تبلغ القيمة السوقية لبنزيما 25 مليون يورو، انضم للفريق الملكي في 9 من تموز عام 2009، وينتهي عقده في 30 من حزيران عام 2023.

لم يتمكن كريم بنزيما من تصدر قائمة الهدافين في الليجا الإسبانية سابقًا، خاصة مع وجود ميسي ورونالدو، وفي عامي 2019 و2020 احتل المركز الثاني برصيد 21 هدفًا، وفي الموسم الماضي 2020- 2021، احتل المركز الثالث برصيد 23 هدفًا.

بينما تمكن من تصدر قائمة الهدافين مرة واحدة في الدوري الفرنسي للدرجة الأولى مع نادي ليون برصيد 40 هدفًا في موسم 2007- 2008.

سجل بنزيما لنادي ريال مدريد منذ أن التحق به في عام 2009 وحتى الآن 295 هدفًا من 577 مباراة، فيما سجل 81 هدفًا لصالح نادي ليون.

بينما شارك بنزيما مع المنتخب الفرنسي الأول منذ عام 2007 في 94 مباراة وسجل له 36 هدفًا.

فلاهوفيتش.. ظاهرة صاعدة

يبرز الصربي دوشان فلاهوفيتش (22 سنة) لاعب نادي يوفنتوس الإيطالي بـ20 هدفًا، يتصدر فيها قائمة الهدافين في الدوري الإيطالي، ويكون بذلك أصغر هداف في الدوريات الخمس الكبرى.

وكان اللاعب قد سجل لناديه السابق في الكالتشيو فيورنتينا 17 هدفًا، وليوفنتوس ثلاثة أهداف، بعد انتقاله إليه خلال فترة الانتقالات الشتوية الأخيرة.

ودخل مجددًا على خط المنافسة الإيطالي شيرو إيموبيلي (33 سنة) لاعب نادي لاتسيو وله 20 هدفًا أيضًا.

وحسب موقع "ترانسفير ماركت" تبلغ القيمة السوقية للصربي 70 مليون يورو، انضم لنادي يوفنتوس في 22 من كانون الثاني الماضي وينتهي عقده في 30 من حزيران 2026.

سبق أن لعب مع فيورنتينا منذ عام 2018 إلى 2022، وظهر معه في 98 مباراة وسجل 44 هدفًا.

كما لعب فلاهوفيتش مع منتخبات صربيا للفئات السنية، ثم انتقل إلى المنتخب الأول عام 2020، ولعب معه سبع مباريات وسجل هدفين.

فيما شيرو إيموبيلي سجل خلال مسيرته الكروية مع النادي 203 أهداف، فيما لعب مع منتخب الآزوري الأول منذ عام 2014 وحتى الآن 54 مباراة وسجل 15 هدفًا.

وحسب موقع "ترانسفير ماركت" تبلغ القيمة السوقية له 30 مليون يورو، انضم لنادي لاتسيو في 27 من تموز 2016، وينتهي عقده في 30 من حزيران عام 2026.

برادلي باركولا موهبة واعدة في ليون الفرنسي

يعتبر الفرنسي برادلي باركولا من أصول دولة توغو الإفريقية إضافة جديدة شهدها فريق ليون أحد الأندية في الدرجة الأولى بالدوري الفرنسي للموسم الحالي.

وكان اللاعب (19 عامًا) ضمن صفوف فريق ليون "ب"، ولفت انتباه الهولندي بيتر بوس مدرب الفريق الأول، وأعجب بمهارات اللاعب الفردية، وكذلك سرعة التحرك مابين الخطوط الثلاث داخل المستطيل الأخضر، فتمت ترقيته إلى الفريق الأول مع بداية عام 2022.

يتمتع اللاعب، وهو من مواليد أيلول 2002، ببنية جسمانية قوية وسرعة ومهارات تتيح له اختراق دفاعات الخصوم، ومساعدة زملائه بالاستناد عليه أمام منطقة الجزاء.

مركز اللاعب الرئيسي هو الجناح الأيسر، لكن يمكن توظيفه على الجناح الأيمن، أو كمهاجم وهمي، طوله 186 سنتمترًا بالقدم اليمنى، ويحمل الرقم 26 على قميص النادي.

يحتل ليون المركز التاسع على جدول الترتيب حاليًا، وقد أحرز بطولة الدوري سبع مرات.

وحسب موقع "ترانسفير ماركت" للإحصائيات الرياضية، انضم الفرنسي برادلي باركولا للفريق الأول في 7 من كانون الثاني 2022، وينتهي عقده في 30 من حزيران عام 2026.

وكان باركولا قد بدأ مشواره الكروي منذ عام 2019 مع فرق ليون للفئات العُمرية، وتدرج إلى أن وصل إلى فريق "ب" حيث برز معه في الموسم الماضي، كلاعب متميز نشيط الحركة.

شارك مع فريقي ليون "ب" والأول في 17 مباراة رسمية في الموسم الحالي، سجل من خلالها ثلاثة أهداف وصنع خمسة.

ومن المنتظر ان يلقى اللاعب الاهتمام والرعاية من المدرب الهولندي، على أن يتم تجهيزه للموسم المقبل بشكل فعلي كلاعب رئيسي في تشكيلة ليون الأساسية، كما جرى استدعاؤه للمنتخب الفرنسي تحت 19 سنة مؤخرًا وللمرة الأولى.

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع SNP

عنب بلدي
enab baladi
من كرم الثورة

جريدة أسبوعية
تأسست في داريا

سياسية
اجتماعية
ثقافية
منوعة

الأحد 14 آذار/مارس 2022
العدد 525 - السنة العاشرة
www.enabbaladi.net
20 صفحة

لون البشرة والديانة..
التمييز بين اللاجئين يكشف خللًا قيميًا في صحافة الغرب

عنب بلدي – حسام المحمود

تعتبر قضية اللاجئين خلال السنوات العشر الأخيرة، واحدة من أكثر القضايا حضورًا في الخطاب الإعلامي العالمي، أمام تصاعد أعداد اللاجئين بشكل متواصل في ظل غياب حالة الاستقرار في البلدان المصدّرة لهم.

وأمام "الغزو" الروسي لأوكرانيا، الذي بدأ في 24 من شباط الماضي، بقرار من الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، دخلت أوكرانيا على خط تصدير اللاجئين بكثافة عالية.

وإذا كانت وسائل الإعلام في السابق حاضرة بقضايا اللاجئين لتغطيتها، وتغطية الخطاب التمييزي والعنصري الذي قد يتعرض له اللاجئون ومكافحته، فهي اليوم تسهم عبر إعلامييها في صنع الخطاب نفسه.

ولجذب انتباه أكبر من قبل المجتمع الأوروبي للاجئين الأوكرانيين، وضرورة احتضانهم، أجرى بعض الإعلاميين مقارنات تمييزية بين اللاجئين الأوكرانيين، واللاجئين السوريين والعراقيين والأفغان، وذلك على أساس اختلاف العرق والثقافة وعوامل أخرى.

أصوات تنادي بالتمييز

حجّم الخطاب التمييزي الدور الرئيس للإعلام، القائم على الإخبار، ونقل المعلومة، وحوّله في أماكن معيّنة إلى شريك في صنع خطاب موجه لا يفضي إلى نتائج إيجابية بالضرورة.

وتجلى ذلك من خلال مداخلات مراسلين وصحفيين حول لجوء الأوكرانيين، بُثت عبر وسائل إعلام واسعة الانتشار.

في 4 من آذار الحالي، قدّم الصحفي فيليب كوربيه، عبر قناة "بي إف إم" الفرنسية، تحليلًا إخباريًا قال خلاله، "لا نتحدث عن فرار سوريين من قصف، نحن نتحدث عن أوروبيين يغادرون (...) لإنقاذ حياتهم"، قبل أن تنشر قناة "فرانس 24" في وقت لاحق توضيحًا يتضمّن اعتذار الصحفي.

كما قارنت مراسلة قناة "إن بي سي" الأمريكية كيلي كوبيلا بين ديانات اللاجئين وألوانهم، حين قالت، في 28 من شباط الماضي، خلال تغطية إخبارية حول اللاجئين الأوكرانيين، إن "هؤلاء ليسوا لاجئين من سوريا، هؤلاء لاجئون من أوكرانيا، هؤلاء مسيحيون بيض".

وفي 27 من شباط الماضي، وصف مذيع قناة "الجزيرة" الإنجليزية بيتر دوبي الأوكرانيين الفارين من الحرب بأنهم "شعب مزدهر من الطبقة الوسطى"، و"ليسوا لاجئين يحاولون الهروب من مناطق في الشرق الأوسط لا تزال في حالة حرب كبيرة".

وأضاف دوبي أن "هؤلاء ليسوا أشخاصًا يحاولون الابتعاد عن مناطق في شمال إفريقيا، إنهم (أي الأوكرانيون) يبدون مثل أي عائلة أوروبية قد تعيش بجوارها".

وقدّمت شبكة "الجزيرة" في وقت لاحق اعتذارًا، أوضحت خلاله أن تصريحات مذيعها "كانت غير لائقة وغير حساسة وغير مسؤولة".

وفي 26 من شباط الماضي، قال موفد شبكة "سي بي إس" الأمريكية، إن هذه مدينة حضارية وأوروبية، وهي ليست، "مع احترامه"، مكانًا مثل العراق أو أفغانستان، قبل أن يعتذر عن تصريحه في وقت لاحق.

تضارب مواقف

عضو مجلس النواب الهولندي، وزعيم حزب "الحرية" اليميني، خيرت فيلدرز، وصف، في 8 من آذار الحالي، اللاجئين السوريين في بلده بـ"المستغلين"، ودعا إلى "طردهم".

وقال فيلدرز عبر "تويتر"، إن النساء والأطفال الأوكرانيين لاجئون حقيقيون، ودعا إلى توفير مساحة مؤقتة ومحدودة لهم عبر "طرد مستغلي اللجوء واللاجئين المزيفين، مثل اللاجئين السوريين في هولندا".

وكانت هيئة البث الإذاعي البريطاني (بي بي سي) استضافت، في 27 من شباط الماضي، نائب المدعي العام الأوكراني السابق، ديفيد ساكفاريليدزي، الذي عبّر عن أسفه لرؤية "أوروبيين ذوي شعر أشقر وعيونهم زرقاء يُقتلون كل يوم بصواريخ بوتين وطائراته الهليكوبتر وصواريخه"، ليرد عليه المذيع بأنه يتفهم مشاعره ويحترمها.

من جانبها، انتقدت المتحدثة باسم المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، شابيا مانتو، ما وصفتها بـ"المعايير المزدوجة" التي تطبّقها بعض الدول الغربية ضد اللاجئين.

وأوضحت في بيان صحفي، أن التصريحات العلنية لبعض السياسيين والصحفيين الغربيين تسبّبت بالتمييز ضد اللاجئين، موضحة أن استخدام مصطلح مثل "البيض والأوروبيين"، والعبارات المسيئة فيما يتعلق باللاجئين السوريين والأفغان، تسبّبت بموجة انتقادات على نطاق واسع.

كما دعت إلى تجاهل هوية اللاجئين أو من أين أتوا، "فلنكن أكثر إنسانية ورحمة".

وتعرّف الأمم المتحدة اللاجئ وفقًا لأحكام المادة "43" من الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين، والصادرة عام 1954، أنه كل شخص يوجد خارج بلد جنسيته، نتيجة أحداث، وبسبب خوف له ما يبرره من التعرض للاضطهاد بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معيّنة أو آرائه السياسية، ولا يستطيع أو لا يريد بسبب الخوف أن يحتمي بذلك البلد (بلد جنسيته).

ويمكن أن يكون اللاجئ شخصًا لا يملك جنسية، ويوجد خارج بلد إقامته المعتادة، ولا يستطيع أو لا يريد بسبب ذلك الخوف، العودة إلى ذلك البلد.

وتأتي حالة الاهتمام الأوروبي باللاجئين الأوكرانيين، بعد أربعة أشهر فقط من مطالبة 12 دولة من أعضاء الاتحاد الأوروبي، المفوضية الأوروبية، بتمويل بناء حواجز على حدودها لمنع دخول المهاجرين، وفق رسالة اطلعت عليها وكالة "فرانس برس"، في 9 من تشرين الأول 2021.

وبالنظر إلى الظروف التي عاشها كل من العراق خلال حربه ضد تنظيم "الدولة الإسلامية"، وأفغانستان التي تغيّر وجه الحكم السياسي فيها منذ آب 2021، وسوريا التي تعايش ثورة ضد نظام بشار الأسد منذ آذار 2011، شكّل مواطنو تلك الدول الحصة الكبرى من اللاجئين في أوروبا خلال الفترة نفسها.

الحكومات ملامة أيضًا

عنب بلدي سألت عضو مجلس إدارة جمعية "سونراكي باهار" المعنية بشؤون المهاجرين ومكافحة خطاب الكراهية والتمييز ضدهم، عماد الطواشي، حول هذا الموضوع، إذ نبّه إلى تفاعل الناشطين عبر وسائل التواصل الاجتماعي مع خطاب التمييز والكراهية، بطريقة دفعت بعض المراسلين والصحفيين للاعتذار والعودة عن آرائهم، معتبرًا في الوقت نفسه أن هذا ما يجب فعله، لمواجهة هذا الخطاب الذي يتوسع بوجود اليمين المتطرف.

كما حمّل الطواشي الحكومات الغربية مسؤولية زيادة خطاب الكراهية والتمييز الحاصل عبر تحويل اللاجئين، لا سيما من خارج دول الاتحاد الأوروبي، إلى ورقة انتخابية، موضحًا أن إنهاء التمييز يبدأ بتعايش المجتمع المضيف مع اللاجئين، إضافة إلى دور الإعلام ومواثيق الشرف الإعلامية والجمعيات المعنية بالمهاجرين واللاجئين، ومنحها دورها في زيادة الوعي وتدريب الصحفيين لإيقاف خطاب الكراهية.

وشدد الطواشي على ضرورة مكافحة خطاب الكراهية للغرب، الذي يتنامى برأيه لدى المناطق التي تعتبر مصدرًا للمهاجرين واللاجئين، مبينًا أن خطر خطابها لا يقل تأثيرًا عمّا لدى الغرب، وهو سبب أساسي في زيادة حدة خطاب اليمين المتطرف، وفق رأيه.

وحول سبل علاج نوعية الخطاب التمييزي المناهض للاجئين، لفت الطواشي إلى ضرورة إطلاق حملة أممية ضد خطاب التمييز تجاه اللاجئين، الذين يسمون أحيانًا بغير مسماهم الحقوقي والقانوني، مشيرًا إلى أهمية بدء حملات توعية دولية ومحلية في ظل حالة الخلط بين اللاجئين والمهاجرين واعتبار اللاجئين فرعًا عن المهاجرين، ما ينعكس سلبًا على حياة وسلامة الفارين من الصراع والاضطهاد، كما دعا إلى الضغط على الدول لتمكين اللاجئين من حقوقهم الإنسانية.

تجارب.. تقييد حرية؟

خلال السنوات السابقة، لم تسلم بعض وسائل الإعلام العربية من فخ الخطاب التمييزي القائم على ترسيخ الكراهية تجاه اللاجئين، إذ عزت قناة "إم تي في" اللبنانية، في 5 من أيلول 2018، زيادة الالتهابات إلى "تكاثر اللاجئين السوريين في لبنان"، ما تسبّب وفق ما نشرته القناة عبر موقعها الرسمي، بمرض السرطان، باعتبار أن "هؤلاء بسبب ظروف سيئة عانوا منها مرغمين، يأتون ببكتيريا خطيرة قد تخلق الأمراض لدى الإنسان".

وفي 14 من تشرين الأول 2018، نشرت صحيفة "الرأي" الأردنية، مادة أرجعت خلالها فيضان مياه الصرف الصحي إلى اللجوء السوري، قبل أن تعدّل العنوان لتحمّل الضغط السكاني وسوء الاستخدام المسؤولية.

وأمام سبل حظر الخطاب التمييزي، يرى الصحفي والخبير في قوانين الإعلام يحيى شقير، وفق ما ورد في دليل "تجنب التمييز وخطاب الكراهية في الإعلام"، الصادر عن معهد "الجزيرة"، أن تقييد حرية التعبير يتحول إلى إلزامي وليس اختياريًا، في سبيل حماية هدف مشروع جدير بالرعاية، وليس استعراضًا للقوة كتجريم نقد الحكومة، وتحصين مسؤولين فاسدين.

ويرى شقير أن المصلحة العامة تعلو، وفي حال تنازعها مع مصلحة فرد أو جماعة فتفضّل المصلحة العامة، وفق المادة "19" من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية.

العنصرية ليست جديدة

الدكتور في الإعلام والعلاقات العامة علاء رجب تباب، تحدث إلى عنب بلدي حول تكريس "العنصرية السياسية" تجاه اللاجئ السوري، موضحًا أنها لم تبدأ بمقارنته باللاجئ الأوكراني، مشيرًا إلى محاولات تقزيم للقضية السورية، في سبيل تصوير المهجّر السوري على أن عالمه الفقر والخبز والسلال الإغاثية، على خلاف الأوكراني، وفق ما يجري ترويجه.

وعزا تباب الحالة إلى طغيان المصالح السياسية على الحالة الإنسانية، موضحًا أن الدول الغربية تسعى لإنصاف الأوكرانيين لاستخدامهم كأداة ضمن حرب إعلامية قائمة على المصالح، باعتبار أن الواقع السياسي الدولي قائم على التمييز الإنساني الطبقي في أساسه، وفق رأيه.

واستبعد تباب أن يكون الحديث عن العنصرية في وسائل إعلام غربية عفويًا، وذلك بغرض تكريس هذه الأفكار في اللاوعي الاجتماعي، وعقل الإنسان والرأي العام الدولي، عبر قنوات اجتماعية غير رسمية، بما يعفي الدول التي تتبنى هذه الأفكار من المسؤولية القانونية، كون أساس حكمها قائمًا على سردية المساواة ومحاربة العنصرية.

كما دعا إلى التأسيس لحراك قانوني واجتماعي وسياسي، يسعى إلى بناء الذات حضاريًا، مع تجريم كلّ من يشوّه صورة الإنسان السوري إعلاميًا.

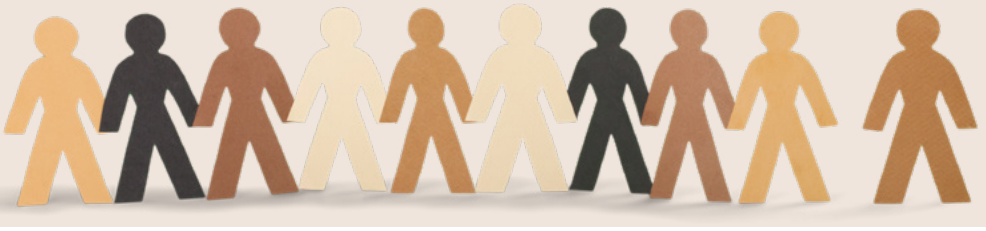

أنا ذكي..
أمي خط أحمر

مشكلتنا، نحن العرب والمسلمين، ليست في الذكاء، بل في الذكاء الزائد، وأنا أميل إلى الاعتقاد بأننا لو أمكننا تخفيض نسبة ذكائنا، بطريقة ما، لأصبح من السهل أن نتطور، ونلحق بركب الأمم.

إذا قلتَ لإنسان عادي، بسيط، درويش، متوسط الذكاء مثلنا، إن الشعب الأوكراني يتعرض لعدوان حقير، وهو الآن يُقتل، ويُهجر، وتُضرب بُناه التحتية، فما رأيك أن نتضامن معه؟ يرد عليك، ببساطة، إما بقوله إنه يتضامن، أو أنه لا يرغب في ذلك، ونقطة انتهى. ولكن، إذا عرضت الفكرة ذاتها على مجموعة من العرب والمسلمين، يأبى الذكاء (الزائد) لأحدهم إلا أن يسألك: أين كان الشعب الأوكراني عندما كان فلاديمير بوتين وقاسم سليماني وحسن زميرة وابن حافظ الأسد يجربون بأجسادنا مختلف صنوف الأسلحة، ويضربون مشافينا وأفراننا، ويقتلون أطفالنا ونساءنا؟ وينط ذكي ثانٍ ويقول لك: خلّ أمريكا الحقيرة، وأوروبا الديمقراطية يتضامنوا مع الأوكرانيين، ويرسلوا لهم بطانيات وخيامًا، ولعلمك أن هذه الدول هي التي فتحت، في الأربعينيات من القرن الماضي، المجال واسعًا أمام العصابات اليهودية الصهيونية لكي تعيث فسادًا في مسجدنا الأقصى، ثاني قبلتينا، وتدنسَ قدسنا، مهدَ الرسالات السماوية. ولا ينسى ذكي ثالث أن يسب و"يحشّك" على أخت أوكرانيا، على أخت الذي سيتضامن معها.

وعلى ذكر الأخت، لا بد من القول إن الأذكياء العرب والمسلمين يأتون على ذكرها، من كل بد، كلما تحدثوا عن شخص يكرهونه، أو شعب يناصبونه العداء، ليس الأخت وحدها، بل إن لديهم قائمة بالنساء اللواتي يلذن بالعدو، والسباب على هاتيك النسوة يجعلهن شبيهات بدريئة منصوبة في حقل رمي تدريبي.

أنت تظن أن الشبان ذوي الذكاء الشديد متعصبون ضد المرأة، ودليلكَ أنهم يحشكون عليها. صح؟ يا سيدي أنت مخطئ، والعكس هو الصحيح، فهم لا يتركون مناسبة تخص المرأة إلا ويحتفلون بها، ولكن، ليس كما يحتفل الناس العاديون. تقول لصاحب الذكاء الخارق إنك يجب أن تحترم أمك. يرد عليك مستهزئًا: أحترمها وبس؟ والله أنا مستعد أن أبوس رجليها. وبما أن حضرتك ذو ملكات عقلية محدودة، تحاول، في بعض الأحيان، إقناع رجل ذكي بأن المرأة نصف المجتمع، فيرد عليك، مستخدمًا منخاره في إخراج الحروف "بغنة": بل إنها كل المجتمع. تسأله: كيف ظبطت معك هذه؟ فيستمر بالكلام بمنخاره قائلًا إنها نصف المجتمع، وهي التي تلد النصف الآخر.

واحد من الذين يحترمون المرأة عمومًا، والأم خصوصًا، قال لي إنه كان يلبي للمرحومة والدته أتفه الطلبات. وأضاف: روح اسألها. قلت له: كيف أسألها؟ فانتبه للخطأ وقال: قصدي اسأل عمتي الشيبونة فلانة، الله يقصف عمرها، صار عمرها مئة سنة، ولا تزال قاعدة، مثل القدّة في الشدة. اسألها لتحكي لك ماذا جرى يوم غلطت زوجتي بحقها. ضحكتُ وقلت له: لا داعي لأن أسأل عمتك. قل لي أنت، ماذا فعلت؟ قال: أطبقتُ يدي هكذا، ولطمتها بوكسًا أنشبتُ الدم من فمها ومنخارها. وقلت لها: يا جحشة يا حيوانة، أمي خط أحمر! ومن يومها ما عادت تخطئ بحقها أبدًا.